## الميكارالافيالاللعنادي

تَرُجُمَهُ كالْ **خُورِيَب** 

كىئەبالتۇكىد مصطفىٰ طۇران

خُلِّالُ لِلْمَتَيِّلِ لَا لَمِنْ للطباعة والشروالتوزيّع والترجمة الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م

> كَافَةُ حُمُوقَ الطَّبْعُ وَالنِّشْرُوَ التَّرَجُكُةُ تَحْفُوطُة لِلسَّا يشرُ

(الانسلام للطباع برالكيتر النوريج القاهرة ص.ب: ١٦١ غورية . ت : ٢٥٦٤٤

حلب ص.ب: ۱۸۹۲ . هـ : ۲۲۷۷۵۱

بیروت ص.ب : ۱۲۵۲۲۷

## 

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. وبعد .

فن المعلوم يقيناً لدى أهل الوعي والبصيرة أن أعداء الإسلام من يهودية ماكرة ، وصليبية حاقدة ، وشيوعية ملحدة متغطرسة ، واستعارية لئية متسلّطة .. لما وجدوا في الإسلام مبادىء تتميز بالربانية والعالمية ، وتتصف بالخلود والتجدد .. وتحمل في طبيعتها خصائص شمولها ونموّها وامتدادها ..

ولما وجدوا في المسلمين قوة لا تقهر ، وعزيمة لا تلين ، وجهاداً لا ينقطع ، وفتوحاً لا يتوقف .. ولما وجدوا الخلافة الإسلامية تجمع المسلمين تحت قيادة واحدة وتجعلهم أمة واحدة ، وتدفعهم نحو غاية واحدة .. لما وجدوا هذا كله جمعوا جموعهم ، وأحكوا أمره ، ووضعوا مخطاتهم ، وعقدوا

مؤتمراتهم ، واتخذوا مقرراتهم .. لأجل أن يضربوا المسلمين ضربة قاصمة ، تتمزق بعدها وحدتهم ، ويتهدّم كيانهم ، ويفقدون في العسالمين عزتهم وكرامتهم ، ويتقلص في الأرض ظلهم وامتدادهم ..

وقد التقت اليهودية والاستعارية والصليبية في صف واحد ، لتكون الضربة للمسلمين أقوى ، والتهديم لكيانهم أعظم .. وقد اختاروا لتنفيذ هذه المهمة في حرب الإسلام والمسلمين عميلهم الخائن ، وربيبهم المجرم اليهودي « كال أتاتورك » ، وساعده في هذه المهمة الإجرامية « عصت إينونو » ، وأعضاء جمعية الترقي .. فهم الذين قاموا على تنفيـذ هذه الجريمة النكراء ، وهم المذين فرضوا على مجلس الأمة التركي عام ( ١٩٢٤ ) اتخاذ القرار بالغاء الخلافة الإسلامية ، وإعلان علمانية الـدولـة ، وإبعـاد التشريع الإسلامي عن واقع الحياة ، وذلك بإلغاء الحاكم الشرعية . والمدارس الدينية ، والأوقاف ، وأحكام الميراث ، وجعل الأذان باللغة التركية ، واستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، وعطلة يوم الجمعة بالأحد، وتغيير الأزياء الإسلامية بالقبعة الأجنبية

واللباس الإفرنجي .. وانتهى ذلك كله عام ( ١٩٢٨ ) م .

وعلى أعقاب هذه التغييرات الجذرية اعترف الإنكليز ودول الحلفاء باستقلال تركيا ، وباركوا جهود أتاتورك في الغاء الخلافة ، وعلمنة الدولة ، ومحاربة الإسلام .. وكان من نتيجة الغاء الخلافة أن انقسمت البلاد الإسلامية إلى دويلات ، وحلَّ عليها الضعف والوهن ، وأصحت ألعوبة بيد الدول الغربية الكبرى وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا .. واستطاعت الماسونية العالمية التي تديرها اليهودية أن تلعب دوراً كبيراً في اجتذاب أصحاب الغني والنفوذ والجاه .. فاصطنعت منهم حكاماً عملاء يأتمرون بأمرها ، وينفذون مخططاتها بأساليب متنوعة ، وشعارات مطروحة متجددة باسم الوطنية حيناً ، وباسم التقدمية أحياناً ، وباسم القومية تارة ، وباسم الاشتراكية تــارة أخرى .. إلى غير ذلك من هذه الشعارات التي ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب ، والتي تستهدف تحويل الجيل المسلم نحو الإلحاد والإباحية.

وقد تضافرت في هذا العصر قوى خارجية وداخلية ..

عالمية ومحلية .. شيوعية ورأسالية .. يهودية واستعارية .. تعمل ليل نهار لأجل هدف واحد ، وغاية واحدة ألا وهي هدم العقيدة الإسلامية من النفوس ، وطمس معالم الإسلام من الأرض .. وتنفيذ مخططات اليهودية التي تتجسد في الشعار المثبت على واجهة البرلمان الإسرائيلي : «حدودك ياإسرائيل من الفرات إلى النيل » .

وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله: ﴿ ولا يَسْرَالُونَ يَقْسَاتُلُونَكُم حَتَى يَرَدُّوكُم عَن دَيْنَكُمُ إِنْ استطاعوا ﴾.

فحريّ بالمسلم أن يكون على اطلاع تـام على كل مـؤامرة حـاكهـا الأعـداء في الظـلام للتشكيـك بصـلاحيــة الإسـلام ، وتمزيق وحدة المسلمين ، واستئصال تحرّكهم في كل مكان ..

وإن من غرات هذا الاطلاع .. كشف هذه المؤامرات التي يحيكها أعداء الإسلام لطمس معالم الإسلام ، وتحويل الجيل المؤمن إلى جيل منحل مائع ملحد لا ينهض بواجب ، ولا يسعى إلى غاية . ولا يضطلع بمسؤولية .

وإن من ثمراته كذلك السعي الدائم لإحباط هذه المؤامرات ، وإظهارها للناس ، وفضح كل خطة ينتهجها أعداء الله للنيل من شريعة الإسلام ، وزعزعة عقيدة السلمين ..

وإن من ثمراته أيضاً استنهاض الهمم المتينة ، واستثارة العزائم القوية .. لاستعادة مجد الإسلام والمسلمين تحت لواء الخلافة الراشدة ، وتحت راية المبادىء الإسلامية الهادية .. وما ذلك على الله بعزيز .

وإن كتاب « أسرار الانقلاب العثماني » لمؤلفه « مصطفى طوران » هو من جملة الكتب التي تكشف لجيلنا المؤمن عن مؤامرات اليهود والحلفاء والعملاء بالتآمر على السلطان عبد الحيد الخليفة المظلوم .. بالإطاحة بالخلافة العثمانية ، وياقامة دولة إسرائيل في حمى مهد عيسى ، ومسرى محمد عليها أفضل الصلاة والتسليم .

وختاماً أهيب بجيلنا المسلم أن ينهلوا دامًا من معين الثقافة الإسلامية ، وأن يحيطوا بمؤامرات أعداء الإسلام .. حتى إذا

استوعبوها ، وأحاطوا بها ، وعرفوا حقيقتها .. نهضوا بالإسلام بناء وتشييدا ، ونادوا بمبادئه منهاجاً وتحكيا ، وحملوا لواء الدعوة الإسلامية عزماً وتصياً .. وعادوا خير أمة أخرجت للناس ..

سدّد الله الخُطا ، وأكثر من العاملين المخلصين .. وهيّاً لأمة الإسلام من يقودها إلى العز والنصر إنه أكرم مأمول وبالإجابة جدير .

المقدم

عبد الله ناصح علوان

واقعــة ٣١ من ( أذار ) يــوم دام في العهـــد النيـــابي للإمبراطورية العثمانية سببته سلسلة من المؤامرات السياسية . حول هذه المأساة التي بدأت في ثكنة (طاش قشلة) العسكرية وانتهت بإزالة السلطان عبد الحيد عن عرشه ، ألفت كتب كثيرة . إلا أنــه من المـؤكــد كـونهــا مبتــورة أو مختلقة . فهذه الكتب التي كانت حصيلة اقتناعات أو تفسيرات ابتدعها مؤلفوها بوجى من المؤثرات السياسية المعاصرة ليست من الحقيقة في شيء . لأن مفتعلي هذه الحوادث ومدبريها أخفوا حقائق المأساة وأسرارها لدرجة أننا عشنا حوادثها في الثكنة التي بدأت فيها من أولها حتى آخرها فلم نتمكن من معرفة أسبابها الحقيقية أو حتى الإحساس بها . مجزرة ٣١ من آذار التي يحاول بعضهم الإيهام بأنهأ محاولة لإحياء الاستبداد والإحاطة بالعهد النيابي وبالحرية ، هي في الحقيقة مؤامرة دبرها الأعداء لهدم الخلافة العثمانيـة وتمزيقهـا ، مجزرة ٣١ من أذار التي طواها التاريخ أعجزت المؤرخين عن إصدار حكم قاطع بشأنها . والسبب في هذا هو تعمد مدبري المؤامرة قتل شهود الحوادث أو إعدامهم .

هذه الحادثة التي دبرها أعداؤنا بشكل دقيق ومنظم مرت بعدة أطوار سياسية حتى دخلت ثكنة طاش قشلة .

وإنه لمن دواعي الأسى والأسف أن يـذهب عـدد كبير من الأتراك ضحية هذا الغدر والخسة والدناءة .

لقد وضعت بذرة ٣١ من آذار في القرن الخامس عشر حتى انتشت . إنها مأساة دموية مرت بسلسلة من المراحل عبر التاريخ حتى تعاظمت ونجح أعداؤنا في الاقتحام بها الثكنة العسكرية حتى ينتقموا منا . إنها لا تشبه تمرد خليل الأرناؤوطي عام ١٧٣٠ ولا تمرد مصطفى قباقجي عام ١٨٠٧ ، فهذه حوادث جرت لأسباب محلية .

مجزرة ٣١ من آذار دبرها أعداؤنا بالعرق والمال ، استهدفوا بها تمزيق الإمبراطورية العثمانية وهدم الخلافة ، وأخرجوها على المسرح بشكل تمرد عسكري . ولقد خدع القائمون على الجهاز الإداري للدولة بهؤلاء الأشرار ، وأخيراً فهموا خطأهم

ولكن بعد فوات الأوان ، مع كل هذا فقد حجبت الحقيقة بستار من الضباب وغيبت في مجاهل التاريخ .

إن النوافذ التي فتحوها باسم الحرية قد أغرقت الناس في الظلام . وأول هدية من الذين ادعوا أنهم سيخرجون الناس من الحكم المطلق إلى الحكم النيابي ومن الاستبداد إلى الحرية ، كانت نصب أعواد المشانق في ساحات استانبول . وكانت الوسيلة إلى ذلك فاجعة ٣١ من آذار التي تقدم فيها أدعياء الحرية بأكبر خدمة للأعداء .

أنا أحد الشاهدين اللذين بقيا على قيد الحياة بعد أن عاشا الحادثة في مكان وقوعها بثكنة طاش قشلة وذاقا من الآلام مالم يذقه أو يتحمله أي إنسان على وجه الأرض.

وكما هي الحـال في سـائر منعطفــات القــدر فــإن الجيش البائس هو الذي تورط في هذه الحادثة .

يدعي البعض أن وقعة ٣١ من آذار هي من تدبير السلطان عبد الحميد وبعضهم يدعي أنها من صنع الاتحاديين وغيرهم يقول إنها مؤامرة حاكها مشايخ جمعية الاتحاد الحمدي

بقيادة ( درويش وحـدت ) . فمن المفيـد أن نستعرض تــاريخ نواة هذه الحادثة باختصار .

في القرن الخامس عشر ، أهدى تتار بلاد القرم السلطان سليان القانوني فتاة يهودية روسية اسمها (روكزيلان) كانوا قد سبوها في إحدى غزواتهم . ولشدة جمالها افتتن بها القانوني فاتخذها زوجة له وساها (خُرَّم سلطان) ، وبفضل نفوذها في القصر زوجت ابنتها مهرماه من اللقيط الكرواتي رستم باشا ، وتكنت من قتل الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) إبراهيم باشا ، ونصب صهرها رستم باشا مكانه . ولم تكتف بهذا بل دبرت مؤامرة استطاعت فيها خنق ولي العهد مصطفى بن سليان القانوني من زوجته الأولى على أيدي الجلادين بحجة أنه يفكر في مؤامرة للإطاحة بوالده ، ونصبت ابنها سلياً ولياً للعهد .

هذه الحوادث مذكورة في كتب التاريخ ، وكانت في عهد تعرَّض فيه اليهود في روسيا للظلم وفي إسبانيا للقتل والحرق والتشريد . وعندما حصلت خرم سلطان على إذن من سليان القانوني في السماح لليهود باللجوء إلى البلاد بدأ اليهود بالهجرة أفواجاً ، واسترت هذه الهجرة حتى الإعلان الدستوري .

هؤلاء القوم الـذين استغلـوا كل شيء حتى أساء أنبيـائهم ، جربوا كل الخدع والمؤامرات السياسية لاسترجـاع فلسطين التي فقدوها على مدى التاريخ .

اليهود الذين انتشروا في كافة الأقطار العثمانية وتجنسوا بالجنسيات الأجنبية للاستفادة من الامتيازات المعطاة لهم وتحينوا الفرص لمساعدة الجمعيات السرية في البلاد ، وأعفوا من الخدمة العسكرية ، وأسسوا مدارس وروابط خاصة بهم ، وحصلوا على جميع الامتيازات . كل هذا وأكبر عدو لهم هم الأتراك . لأن فلسطين يحكها الأتراك . هؤلاء اليهود لم تحسن

الحيد ، مع أنهم عاشوا أرغد عيش في عهده .

في البلاد العربية ، في بيروت ، في سلانيك ، في بلاد الروم ، في بلاد الأناضول ، في الجزر ، كانسوا هم السماسرة والأغنياء ، عاشوا حياة مترفة ومريحة في المالك العثمانية وأكبر أعدائهم هم الأتراك وعلى رأسهم السلطان عبد الحيد .

في أواخر القرن التاسع عشر ونتيجة لسوء الإدارة الذي خلفته عصور الانحطاط، ضعفت الإمبراطورية العثمانية . وأصبحت تحت وطأة سلسلة من الامتيازات الأجنبية .

فكرت الدول الاستعارية في الاستفادة من هذا الوضع ، فاجتمعت في ريفالد على ساحل بحر البلطيق . وتسربت أنباء لقاء ريفالد الذي استهدف تمزيق الإمبراطورية العثمانية .

كان اجتماعاً سياسياً ضم ملك الإمبراطورية البريطانية إدوارد السابع وابن خالته ملك روسيا نيقولا الثاني وإمبراطور ألمانيا كايزر ويلهلم ، وإمبراطور النسا والمجر فرانسوا جوزيف وملك إيطاليا فيكتور عمانوئيل .

ولم يمض وقت طويل حتى عقد مؤتمر الصهيونية العالمية عام ١٨٩٧ في مدينة (بازل) بسويسرا . واشترك فيه (٢٠٤) من الأعضاء . وبعد مناقشات طويلة توصلوا إلى قرار حول تأمين وطن ليهود العالم .

تقرر في البداية أن يكون عنا الوطن في الأرجنتين أو أوغندة . إلا أن أحد كبار أعضاء المؤتمر وهو (تيودور هرتزل) أصر على أن يكون هذا الوطن في فلسطين ،وعرض فكرته على التصويت فكانت الأكثرية لصالحه ، ثم اتخذ القرار التالى :

ضرورة نجاح هذه القضية ولو اقتضت صرف الملايين ، وقد أعطيت الصلاحية المطلقة لتيودور هرتزل لقاء تعهده بالوصول إلى الغاية المرجوة مع تحمل كافة المسؤوليات المترتبة عليها .

ربح بـارون هيرس أحـد أغنيـاء اليهـود ثروة طـائلـة من الخطوط الحديدية العثمانية عـام ١٩٠٥ . ثم توفي بعـد أن أوصى عئتين وخمسين مليـونـاً من الفرنكات لصرفهـا في سبيـل تـأمين

وطن ليهود العالم . في هذه الفترة كان يهود روسيا يتعرضون للظلم فيهاجرون إلى تركيا حتى تمكن بعضهم من الوصول إلى فلسطين .

وفي عام ١٨٩٨ وصل إمبراطور ألمانيا ويلهم الشاني إلى استانبول بدعوة من السلطان عبد الحيد . فاستغل تيودور هرتزل هذه الفرصة واتجه إلى استانبول إلا أن زيارت الإمبراطور لاستانبول كانت قد انتهت وبدأت زيارت للقدس ، فلحقه هرتزل إلى هناك . وتمكن بعد توسط رئيس الوزراء الألماني فون بولوف من مقابلة الإمبراطور وطلب مساعدته في هجرة يهود العالم إلى فلسطين .

أبلغ الإمبراطور أنه يمكنه المساعدة بشرط عدم المساس بحق حكم السلطان العثماني .

وعاد هرتزل إلى إستانبول يحدوه الأمل الكبير وتمكن هو والحاخام اليهودي موشيه ليفي بتوسط السفارة الألمانية من الذهاب إلى قصر يلدز ومقابلة السلطان عبد الحميد . وتقدم تيودور هرتزل إلى السلطان بالرشوة قائلاً :

« مولانا صاحب الشوكة جلالة السلطان ، لقد وكُلنا عبيدكم اليهود بتقديم أسمى آيات التبجيل والرجاء ، عبيدكم المخلصون اليهود يقبلون التراب الذي تدوسونه ويستعطفونكم للهجرة إلى فلسطين المقدسة .

ولقاء أوامركم العالية الجليلة نرجو التفضل بقبول هـديتهم خمسة ملايين ليرة ذهبية » .

وكان السلطان قد أحيط علماً مسبقاً بقرار المؤتمر العالمي للصهيونية في سويسرا ، وعلى علم بوصول المهاجرين اليهود من روسيا ، لذا كان يفهم ما يقصده الوفد اليهودي من هديته . وبعد أن استمع إلى هذا العرض بكل هدوء أمر مرافقه أن يطردهم من القصر وأصدر على الفور أمراً ينع هجرة اليهود إلى فلسطين .

ناصبوا السلطان العداء ، لأنهم لم يحصلوا على الامتياز الذي طلبوه منه فأجمعوا أمرهم وعقدوا مؤتمراً آخر واتخذوا قراراً بالوصول إلى الهدف عن طريق خلع السلطان عبد الحيد بالوسائل السياسية . وكانت أول محاولة لهم مع المنظات

السرية الأرمنية . وكان إدوارد السابع على علاقات قوية مع اليهود وبعد أن أصبح ملكاً على التاج البريطاني انتسب إلى المحفل الماسوني بتوجيه من غوستاف الخامس ملك السويد . وعهد إدوارد السابع هذا كان عهداً ذهبياً ليهود العالم ، ساعدهم على تسربهم إلى فلسطين وبذلك وجدوا فرصة للاستيلاء عليها .

قداً كارل إدوارد مبلغ ١٣ ألف ليرة ذهبيسة للمنظات السرية الأرمنية لإلقاء قنبلة على قصر يلدز وقتل السلطان عبد الحميد . وفتح اعتادات في البنوك الأجنبيسة لخدمة الأهداف الصهيونية . لذا فإن أول عمل قامت به المنظات الأرمنية هو الهجوم على الباب العالي ( دار الحكومة ) ، وهجم فريق آخر على البنك العثماني ، وألقوا القنابل ليثيروا الرعاع . وعلى الفور أمر الصدر الأعظم ( رئيس الوزراء ) سعيد باشا عجاصرة البنك . وقبض رجال الدرك على الأرمن المهاجمين في الباب العالي . وقمن عال الموانىء من إعمال القتل فيهم بالأحجار والعصي . واستعمل الأرمن الذين احتموا بكنيسة ، بالأحجار والعصي . واستعمل الأرمن الذين احتموا بكنيسة ، عتلف أنواع المسدسات والقنابل وبعد اشتباكات مع الجيش

استسلموا . وقد تدخل السفير الروسي في الأمر وادعى بأن المقبوض عليهم هم من الجنسيسة الروسيسة وطلب الساح لهم بمغادرة البلاد على متن باخرة روسيسة . وافقت السلطات العثمانية على هذا الطلب تحت وطأة امتيازات الأجانب ، ثم إن الأرمن لم يصرفوا نظرهم عن العمل الذي بدؤوه ، فكان هدفهم هو القضاء على عبد الحميد .

موًّل اليهود هؤلاء الأرمن ودفعوهم إلى الإمام. فكانت المؤامرة هذه المرة أشد إحكاماً وأقوى تدبيراً. الخطة أعدها اليهود في سويسرا، وكلف بالأمر إدوارد جورس وهو يهودي مجري، فرنسي الجنسية تدرب في روسيا على أعمال الاغتيال. بدأ إدوارد نشاطه بالتعاون مع منظمة الطاشناق الأرمنية. ولكي تنجح المؤامرة لابد من قتل السلطان. وبموجب الخطة التي أعدوها، استطاعوا إدخال عربة إلى البلاد صنعت خصيصاً، ووصلت إلى إستانبول قطعة بعد قطعة. ثم ركب على بعضها. وقد تبين من التحقيقات التي أجريت فيا بعد أن القطع دخلت إلى البلاد دون تفتيش من رجال الجارك الذين قبضوا ثمناً لها. صممت قنبلة موقوتة (قنبلة الجحيم)

ووضعت تحت كرسي القيادة في القسم الخشبي منه لتنفجر في الوقت الذي يأتي فيه السلطان عبد الجميد لصلاة الجمعة . وكان مقرراً أن تترك العربة قرب الطريق الذي يمر منه السلطان ، تركوها ، وعُرف عن السلطان تقيده بالنظام والمواعيد في حياته الرسمية والخاصة ، حيث تجري مراسيم الجمعة في الوقت المحدد على الضبط . وقبل أداء التحية يجري عرض عسكري . والمسافة بين باب القصر والمسجد لا تتجاوز بضع مئات من الأمتار . وقبالة باب المسجد الخارجي مبنى يقف على شرفاته السفراء وزوجاتهم وكبار الوزراء المدعوين لحضور المراسيم .

تعطى إيعازات للجنود المصفوفين على جانبي الطريق لتركيب الحربة وأداء التحية ، ثم يعلن البوق من عند باب القصر مجيء السلطان . وعندما تظهر عربة السلطان التي تجر بأربعة خيول تعزف الموسيقى السلام الحيدي . ثم تعقبها موسيقى التحية وبعدها يدوي صوت ( بادشاهم جوق باشا ) « عاش مولانا السلطان » .

هذا الاحتفال يحضره رجال الدولة . ولا يسمح بدخول

المسجد لصلاة الجمعة مع السلطان إلا للذين حصلوا على إذن مسبق . والبوليس السري والشرطة المدنية ينتشرون في كل مكان .

وكما هو معتاد وصل السلطان بنفس المراسم إلى المسجد في هذا اليوم الجمعة ٢١ من تموز ١٩٠٥ .

نزل من العربة ودخل المسجد وسط تكبير الحاضرين كان يصلي في السدة المحاطة بالشبك . ولا يوجد على جانبي السدة الا المرافقون والحراس . وبعد الانتهاء من الصلاة والدعاء نزل السلطان من السدرج ووصل إلى المكان السذي يمتطي فيه عربته . وأراد أن يجامل شيخ الإسلام جمال الدين أفندي ، فأمضى بضع دقائق مع الشيخ . في حين كانت ساحة المسجد علوءة بقادة الجيش ونوابهم والشرطة السرية . في هذا الوقت بالضبط انفجرت القنبلة محدثة دوياً هائلاً . وطارت قطع من الخيول والعربة والأيدي والأرجل البشرية في الهواء وخم على المنطقة دخان كثيف ، وتحطم زجاج نوافذ المسجد ، وقد أذهل الصوت رجال الجيش والشرطة فهرب من بقي منهم على

قيد الحياة ، وبعد مدة عاد بعضهم فهنأ السلطان على سلامته فأمرهم بتهيئة عربته ، ومحاصرة المنطقة واعتقال المتسببين . ثم ركب عربته بمفرده ودخل بها إلى القصر . قتل في هذه الحادثة عدد كبير من الجنود ولم يُتعرف على أشكالهم بسبب تمزقها . وقد اعتقل كثيرون إلا أن أكثر المتآمرين الكبار كانوا خارج البلاد . شكلت لجنة تحقيق برئاسة نجيب ملحم حيث تولت هذه القضية وتوصلت بعد وقت قصير إلى الإحاطة بأبعاد المؤامرة ، وعرفت الفاعلين وألقت القبض على كريستوفر ميكائيليان وابنته روبينا وقسطنطين قيوليان وكان قيوليان هذا يهوديا روسيا . استطاع وهو في السجن أن يقطع شرايينه بطرف الأبريق المعدني في المرحاض وينتحر .

قامت الخابرات التركية الخاصة بإجراء تحريات واسعة استطاعت الحصول على نشرة لها أهمية بالغة كانت هذه النشرة تحوي ٢٢ مادة من دستور منظمة الصهيونية العالمية . وكانت النتيجة الحقيقة التالية :

منذ سنة ١٨٩٢ والعالم في صراع مع اليهود الذين تبنوا هذا

الدستور وحوادث ٣١ من آذار دبرها اليهود . هؤلاء اليهود وإن قضي عليهم فإن صراعاً سيأخذ وضعاً مستراً بين بني إسرائيل والعالم العربي . لذا فإن بذور حرب عالمية ثالثة بين روسيا التي تحاول التسك بالعالم العربي والحور الإنكلو أمريكي الذي يؤيد إسرائيل ، مدفونة في الشرق الأوسط .

ليس هناك أدنى شك في أن عبد الحيد أحس بهذه النوايا وعرف بأن دولة إسرائيل ستقوم إلا أنه أراد ألا يكون هو الوسيلة إلى ذلك كان يعلم تعاون اليهود مع الماسونية ، ويخشى كثيراً من أن تلجأ عناصر غير تركية إلى تزيق الإمبراطورية . لذا فإنه قرّب الأرناؤوط والأكراد والشركس إلى القصر وأسند إليهم المناصب حتى إن بعض العسكريين من هؤلاء ترقوا في مناصبهم إلى أعلى درجات (مشير).

وكان يشتبه في أمر الأرمن واليهود خاصة . ويعتقد بأنهم سيقومون عاجلاً أو آجلاً بأعمال هدامة . ومها قيل عن استبداد عبد الحيد ، فإنه كان عالماً بما يجري حوله ، ناظراً إلى المستقبل متحاشياً الحروب مقتنعاً أن كل شيء يمكن حلمه

بالوسائل السلمية . شاغلاً فكره بما يخطط اليهود الماكرون من المؤامرات في الدولة العثانية .

قــال مرة: لا أخشى من شورة الروم والأرمن ولا الأرناؤوط، فأنا قادر على إخمادها، إلا اليهود فإنهم أغنياء وأذكياء ومن الصعب مكافحتهم.

الحوادث التي توالت أظهرت صواب فكرة عبد الحميد . بواقعة ٣١ من آذار التي أحدثها يهود سلانيك الدونمة والماسون تم زوال حكمه ، وشهد بأم عينيه عصاة البلقان وهم ينهبون خزينة الدولة وعاش المآسي الناجمة عن سياسة جمعية الاتحاد والترقي .

لن يتكن التاريخ من أن يحكم على عبد الحميد بالعجز والفشل.

ولو أن الاتحاديين الذين تربوا في المدارس التي أنشأها عبد الحيد اشتركوا مع السلطان في إدارة الدولة لتوحدت ديناميكيتهم مع تجارب عبد الحيد السياسية ولتغير مجرى التاريخ .

ولو كان ذلك لما ذهب آلاف من الجنود الأتراك ضحية ٣١ من آذار في ثكنة طاش قشلة .

كان للصد الذي لقيه تيودور هرتزل مندوب الصهاينة من عبد الحيد وقع أليم في نفسه ، ظن هرتزل أن الضانات التي أعطاها إياه إميراطور ألمانيا ويلهلم كافية لنجاح مهمته ، وأن مبلغ خسة الملايين ليرة ذهبية تجعل عبد الحيد يستجيب لطلبه ، ولما ظهر عكس ما توقع انتقل إلى البلقان وعقد مع اليهود سلسلة من المؤتمرات حيث توصلوا إلى القرار التالي :

تفويض عمانوئيل قراصو للقيام بالمهمة .

وقراصو هذا عدو لدود للأتراك يتمتع بالجنسيتين الإيطالية والعثمانية . وبعد حوادث ٣١ من مارس كان أحد الأربعة الذين دخلوا على السلطان في قصره وأبلغوه قرار الخلع . وبعد الإعلان الدستوري أصبح نائباً عن ولاية سلانيك .

بدأ النشاط الجديد بتحريك الأقليات غير المسلمة . ليقوم هؤلاء بحركة استفزازية فتحدث مجازر تتدخل إثرها الدول الكبرى لوقفها .

أول عمل من هذا القبيل كان مع الماليسور إذ ثار هؤلاء بالتعاون مع العصاة الأرناؤوط وأنهكوا الدولة العثمانية التي اضطرت لتوجيه جيش جبار لمقاتلتهم والقضاء عليهم .

من هؤلاء فائق ودرويش هيا اللذان عملا مع جريدة ألبانيا ليل نهار لإزالة عبد الحيد . وكان ممولهم عمانوئيل قراصو . ومن المعروف أن الثوار الأرناؤوط كلهم ماسونيون .

ولعل أول محفل ماسوني في الإمبراطورية العثمانية افتتحه الإيطاليون هو محفل ( برات ) مركز ألبانيا .

ومن بين الثوار الأرناؤوط رجل غريب الأطوار اسمه (إساعيل كال). لم يترك طريقاً إلا وسلكه في سبيل الحصول على المال أخذ من الصهاينة والإيطاليين والإنكليز وخديوي مصر. حتى إنه كان يرسل تقارير عن نشاط السياسيين في الخارج إلى السلطان عبد الحيد ويقبض ثمنها من السلطان

في تلك الأيام كانت البلقان تلتهب وعصابات الأرناؤوط

والبلغار والصرب والقرة داغ تهجم على القرى وتقتل موظفي الحكومة والأهالي . مجازر حدثت في بلاد الروم . وقطاعات الجيش العثماني منهكة في إخماد هذه الحركات . فلم يبق هناك شيء اسمه الاستقرار .

كان عبد الحميد في صراع مرّ وحكم مع هؤلاء . لكن هناك اتفاقاً تاريخه عام ١٥٥٣ بين السلطان سليان القانوني وفرنسوا الأول حول المواطنين الأكثر رعاية ، تحول فيا بعد إلى جرح لا يندمل في صدر الدولة العثانية على مدى أربعة قرون وأصبح فيا يسمى بامتيازات الأجانب .

وبسبب ذلك لا تؤخذ من الأجانب ضرائب ومكوس، دورهم محمية ومصانة لا يدخلها رجال الشرطة ولا تطبق عليهم الإجراءات الاقتصادية، كانت هناك امتيازات حقوقية، واقتصادية ومالية. كلها مخلة بسيادة الدولة واستقلالها. فالدولة التي تسودها الامتيازات ليست دولة مستقلة.

الدولة لم تستطع جبي ضرائب المتع المترتبة على أصحاب الامتيازات التي كانت كسباً لأعداء عبد الحيد في إظهار حكمه

ضعيفاً ، ففي كل مباحثة جرت بين دولة أجنبية والدولة العثمانية كانت الثانية هي الخاسرة . والسلاح الوحيد الذي استخدمه عبد الحيد مع هؤلاء هو الدهاء . إذ لم يلجأ إلى قتل أي معارض لسياسته في الداخل أو الخارج .

لم يحد عبد الحيد طيلة عهده عن طريق العدل قيد أغلة ، وما يدعيه البعض من أنه أحرق طلاب الطب والبحرية في المراجل أو أنه ربط أرجلهم بسلاسل حديدية وألقاهم في البحر ، أكاذيب اختلقها اليهود .

وطوال حكمه الذي استر ثلاثة وثلاثين عاماً لم ينفذ حكماً بالإعدام سوى حادثة واحدة فقط . مع هذا فإنه يبدو مستبداً في نظر معارضيه .

كان عبد الحيد يتعقب خصومه ليتعرف على أهدافهم وتقاط ضعفهم بحيث يتكن من ملاطفتهم وتلبية رغباتهم .

فشلاً انتهى من ثلاثة خصوم بجرة قلم . هؤلاء هم حلمي طونالي وعبد الله جودت وإسحق سكوتي . عيَّن حلمي كاتباً ثالثاً في سفارة مدريد فأنساه مطالبته بالحكم النيابي . وعين

عبد الله جودت طبيباً في سفارة فيينا ، فلم يبق فيه أثر الشورية . وأعطى لإسحق سكوتي درجة دكتوراة في الدبلوماسية بلندن . إلا أن تيودور هرتزل المطرود ، حرّك البلقان ثم ذهب إلى باريس والتقى هناك بحزب تركيا الفتاة وعرض عليهم التعاون معه ، ودفع لهم أموالاً طائلة . وهذا الحزب كان وصولياً يقبض أموالاً تحت أساء مستعارة حتى من عبد الحيد نفسه .

كان في هذا الحزب أناس صادقون مخلصون أمثال محود باشا وجامع بك . ظنوا أن القضاء على عبد الحميد يخص الأتراك وحدهم وما دروا أنهم سيصبحون آلة في خدمة سياسة الانتقام التي يعتنقها الماسونيون اليهود .

كان على رأس مخططي وقعة ٣١ من مارس الذين اتخذوا من سلانيك مركزاً لبث سمومهم ، عمانوئيل قراصو ، وزميله الدونمة جاويد الذي أصبح وزيراً للمالية في حكومة الاتحاد والترقي ثم أعدم بتهمة محاولة اغتيال مصطفى كال ، يبدأ العمل بالمال الذي أعطاه عمانوئيل قراصو للاتحاديين . هذا المال الذي

يبلغ أربعائة ألف ليرة ذهبية قبضه قراصو من البنك الإيطالي وأعطاه لرجل غني اسمه نجيب دراغا الذي أعطاه بدوره إلى أحد أعضاء جيعة الاتحاد والترقي وهو أيوب صبري الذي تولى صرفه طبقاً للأوامر والإجراءات المتبعة . وبكل أسف كان مصروفاً لأحداث فتنة ٣١ من آذار ذكر عمانوئيل قراصو من قبيل الفخر مراراً أن الاتحاديين نفذوا بأربعائة ألف ليرة ذهبية مالم ينفذه عبد الحيد بخمسة ملايين .

وفي غرة النشاط المعادي لعبد الحميد في سلانيك وباريس كانت الصحافة العالمية منهمكة في نشر الدعايات التي تحط من قية السلطان العثماني .

الأدوار التي لعبها المحفسل الماسوني (ريسزورتسا) في سالانيك ، هامة جداً . إذ كان على رأسها قراصو . وكذا محفل باريس وجنيف ومحفل فلورنسا . هذه المحافل استطاعت عن طريق حزب تركيا الفتاة الاتصال بالمؤسسات الهامة في الدولة العثمانية وجعلت الفئات المنحرفة من البكداشيين والملاميين والكاثبناستيين وكذا بعض أصحاب الطرق والضباط والوزراء

والسفراء والشعراء والكتاب والحامين تنتسب إلى محافلها وتعتنق الماسونية .

من هؤلاء طاهر البورسلي أحد مؤسسي جمعية الوطن والحرية ( ملامي ) .

وشيخ الإسلام موسى كاظم ، وشيخ الإسلام خيري أفندي والفيلسوف رضا توفيق وكاظم نامي ( بكداشيون ماسونيون ) .

وطلعت باشا ، وسليان عسكري ووهيب باشا والملازم عاطف الذي قتل قائد الجيش الثالث شمس باشا ، وبطل الحرية نيازي . والبكباشي أيوب صبري ( بكداشيون ماسونيون ) والثوار الأرناؤوط كلهم ماسونيون .

أما عصابات البلغار والصرب والروم فكانوا على علاقات وارتباطات مسترة بسلانيك .

أعضاء حزب تركيا الفتاة الخلصون لم يكونوا على علم بنوايا الصهيونيين شركائهم في العمل لذا لم يفهموا إلى أي جهة سترجح كفة الميزان ، فاستروا في نشاطهم وزادوا منه . وانضم إليهم

أحمد رضا بك ورفاقه وسارت القافلة .

في هذه الفترة كان حزب تركيا الفتاة بإستانبول قوياً في التصالاته بطلاب المدارس الحربية والبحرية والطب والصيدلة ، ويوزع عليهم الصحف والمجلات المرسلة من باريس .

أما البكباشي محود بك مدرس اللغة الفرنسية في الكلية الحربية ومعاونه ملازم أول محيي الدين بورسلي وفريد بك كانوا يتولون التوزيع .. وقد نفي البكباشي محود إلى جزيرة رودوس بعد القبض عليه وهرب فريد بك إلى مصر ، ومن تنظيم مدرسة البحرية طلاب أمثال سامي وحيدر ، وعثان الطرابزوني والملازم أول جواد كريتلي وصفوت بك .

كانت في إستانبول مراكز للبريد خاصة بالأجانب فهناك بريد الفرنسيين وبريد النساويين ، افتتحوها بموجب الامتيازات المنوحة لهم . هذه المراكز أوصلت الصحف التي كانت تأتي من حزب تركيا الفتاة من باريس .

وكذلك عبد الحليم كريتلي من المدرسة الحربية وأدهم روحي من المدرسة الطبية والملازم الأول فريد من كليسة الأركان وزميله يوسف أقجورا كانوا أعضاء في جمعية تركيا الفتاة وقد أوقفوا جميعاً .

وبالرغ من ملاحقة الشرطة السرية لهم فإن نشاطهم كان يتوسع يوماً بعد يوم . انتسب إلى التنظيم مشايخ التكايا البكداشية وأعضاؤها ، وموظفون في القصر . منهم ثريا وكاظم وخيري وجعفر العربي وعربي بك وأناس لا يتوقع منهم أن ينتسبوا إلى هذا التنظيم .

كان هدفهم إسقاط عبد الحميد من الحكم وتولية سلطان ذي أفكار نيرة متحررة . هذه الفكرة انتشرت خاصة في أوساط الطلبة والضباط .

تعود السلطان عبد الحيد أن يخرج في الخامس عشر من شهر رمضان من كل سنة إلى سراي طوبقاي وينزور الآثار النبوية الموجودة في جناح البردة الشريفة . كان يمر في طريقه من جسر غلطة عند الذهاب ومن جسر أونقاباني عند الرجوع .

ففكروا في تفجير أصابع ديناميت عند قاعدة أحد الجسرين

لحظة مرور عبد الحيد ، ولكنهم صرفوا النظر عنها خوفاً من وقوع ضحايا كثيرة . عرض رضا بك وهو أحد قادة المدفعية أن يقصف قصر يلدز فرُفض عرضه لنفس السبب . وأخيراً تقرر توزيع منشور يحتوي البنود التي عرضها مدحت باشا على عبد الحيد من مشروع الدستور عندما كان رئيساً للوزراء ، وطالبوا الشعب في هذا المنشور القيام بثورة لفرض هذا الدستور . وفعلاً وزع المنشور حتى وصل إلى أبواب القصر .

فقبض على الضابط البحري حيدر بك وهو يوزع المناشير . ومن جهة أخرى قبض على بعض خدم مدارس البحرية فأقروا بأساء أعضاء التنظيم فسيق أكثرهم إلى ثكنة طاش قشلة وسجنوا هناك وبعد محاكة لهم برئاسة رشيد باشا صدر الحكم عليهم بالنفي الجاعي إلى طرابلس الغرب .

## السلطان عبد الحميد الثاني

ولد السلطان عبد الحيد الثاني يوم الأربعاء ٢١ من أيلول سنة ١٨٤٢ ميلادية وهو ابن السلطان عبد الحيد من زوجته الثانية . توج الخلافة بعد أخيه مراد ، يوم الخيس ٣١ من أغسطس سنة ١٨٧٦ ميلادية وكان عمره آنذاك أربعاً وثلاثين سنة .

عندما تولى الخلافة كانت الديون المترتبة على الدولة تبلغ الدولة تبلغ ٢٥٢,٨٠١,٨٨٥ ليرة عثانية . كان عليه أن يستعد لجابهة الموقف وإيفاء الديون حتى يرد من اعتبار الدولة تجاه الدول الخارجية فاستقدم خبراء ماليين من أوربا حيث أعدوا له تقريراً بإمكانية وفاء هذه الديون .

وعندما تقرر تشكيل إدارة الديون العامة كان إجمالي هذه الديون منخفضاً حتى أصبح ١٠٦,٤٣٧,٢٣٤ ليرة ذهبية .

وقد أخذت بعض القروض بعد ذلك إلا أن أكثرها سُدّد من الواردات . وبعد اعتلائه العرش وقعت الحرب بين الروس وبين الإمبراطورية العثمانية في ( ١٢٩٣ رومي ) . كانت هذه الحروب خسارة فادحة للدولة إذ راح ضحيتها ناس كثيرون وفقدت قطعة كبيرة من الأرض . حاول عبد الحميد تفادي وقوع الحرب وأراد أن يجرب الطرق السياسية إلا أن مجلس الوزراء اتخذ قراراً معكوساً أدى إلى نشوب الحرب ، ونتيجة للهزيمة المنكرة التي منيت بها الدولة العثمانية تقدمت القوات الروسية حتى وصلت إلى أسوار إستانبول . حينئذ اضطرت الدولة العثمانية إلى قبول شروط قاسية ودفع تعويضات وإعطاء المتيازات للأجانب وذلك في معاهدة إيستفانوس .

وفي الحرب اليونانية التي وقعت في ١٨٩٧ اضطر عبد الحميد إلى دفع أكثر مصاريفها من خزينته الخاصة وكان ينفق من ماله الكثير على الفقراء والمحتاجين .

عبد الحميد يعتبر أعظم خليفة في عصر انحطاط الدولة . وقد يكون مرتكباً أخطاء إدارية إلا أن الذين لا شك فيه أنه قام بأعمال كبيرة وجليلة لخير الدولة . فالأعمال التي قام بها تملأ كتباً ومجلدات ومخاصة في مجمال التعليم . عبد الحميد هو الذي

رفع مستوى الثقافة . فالمؤسسات التي أنشئت في عهده قائمة حتى الآن ليس لأحد أن ينكرها .

وهذا بعض ما أسس: دار العلوم السياسية ، الجامعة بفروعها: العلوم والحقوق والآداب ، أكاديمية الفنون الجيلة ، كلية الهندسة العالية ، مدرسة المالية ، مدرسة التجارة ، مدرسة الإخراج الزراعة العليا ، مدرسة التجارة البحرية ، مدرسة الإخراج والمعادن ، مدرسة اللغات ، مدرسة المعوقين ، دار المعادات ، مدرسة الفنون النسوية .

ويعتبر عبد الحيد مؤسس التعليم الابتدائي والمتوسط على الطراز الغربي ، فأنشأ المدارس الإعدادية والثانوية في كافة الولايات وأكثر المناطق . وافتتح في إستانبول فقط ستة مدارس ثانوية وكذلك افتتح المدارس الابتدائية في جميع القرى ، وجمل تعليم اللغة الأجنبية إلزامياً في المرحلة الإعدادية . كذلك أنشأ دور للمعلمين في عدد كبير من الولايات ، ومدارس للحقوق في بعضها . وها هي بعض المؤسسات الثقافية التي افتتحها : متحف الآثار القديمة ، المتحف العسكري ، مكتبة

بايزيد ، مكتبة يلدز ، مدرسة الطب ، ثانوية حيدر باشا .

وأسس أيضاً مستشفى الأطفال ودار العجزة من ماله الخاص . وكذلك مركز البريد العام ، ومبنى دار الفنون ، وقساطل المياه التي أنقذت إستانبول من العطش ( مياه الحيدية ) . ودار النفوس العام والغرف التجارية والزراعية والصناعية .

وفي عهده جرى توسيع معمل الطرابيش وافتتح معمل الخزف ، وبعد هذا وذاك جرى في عهده تمديد الخطوط الحديدية من دمشق إلى المدينة بطول ١٣٢٧ كم المسمى بالخط الحديدي الحجازي خدمة للإسلام والمسلمين .

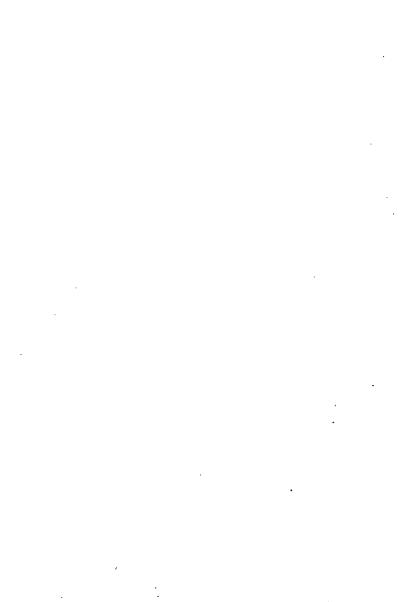
وإصلاحات السلطان عبد الحيد العسكرية هامة جداً. فقد استقدم عدداً من الجنرالات الألمان الختصين ، منهم : فون دركولج وفون هوفذ وكامب هوفذ . حيث دربوا الجيش العثماني حسب متطلبات العصر . وأرسل بعثمات عسكرية للتدرب في الجيش الألماني ، وافتتح الإعداديات العسكرية وجهز الجيش بالأسلحة الحديثة .

كان عبد الحميد متأثراً تأثراً نفسياً من حوادث جرت لأسلافه فوقع في بعض الأخطاء . وإذا نظرنا نظرة موضوعية إلى المبالغات التي قيلت عنه ، فإن مئات آلاف التقارير التي تأتيه عن كل شيء بدءاً من الشخصيات الكبيرة إلى أصغر قرد في البلاد . كافية لأن تقلب أحاسيس الإنسان رأساً على عقب .

إننا إذا استعرضنا قادة العالم وازدياد حساسيتهم على مر الزمن وإنهم يحذرون كل شيء لما اكتفينا بإعذار عبد الحميد بل أوجب علينا الإنصاف أن نكبر فيه جرأته وقوة أعصابه . فع أوهامه هذه ، قدم للبلاد خدمات جُلّى . وكان يملك من الذكاء والذاكرة وقوة التأثير بشكل يحير العدو والصديق .

وقد كان أيضاً متديناً من غير تعصب ، عصامياً بكل ما في الكلمة من معنى .

\* \* \*



#### عبد الحميد والعرب

كان للدولة العثمانية ثلاثة جيوش في البلاد العربية قياداتها في دمشق الشام وبغداد وصنعاء الين . لم تسترح هذه الجيوش قسط . حيث تستر الثورات والتحرشات ، وتتعرض المراكز للهجوم فيضطر الجيش للبقاء على استعداد دائم . هناك في صحاري فلسطين والين والعراق مشيخات وإمارات شبه مستقلة والقبائل تتحين الفرص للسلب والنهب فتسمي هذه العمليات بالغزوات .

عرف السلطان عبد الجميد كيف يعامل هؤلاء . فأرسل مثلاً شخصياً له هو رشيد باشا حيث يوصل إليهم كل سنة هدايا السلطان من الذهب وافتتح مدرسة ساها مدرسة العشائر في إستانبول يدرس فيها أولاد الأعيان العرب من سورية والعراق والين وغيرها . واستطاع بعض العرب أن يرقى إلى أعلى المناصب في الدولة . وشكل كتائب الزحوف العربية واتخذها حرساً خاصاً للقصر . وقد حازت هذه الكتائب

إعجاب الأجانب . ولما وقعت حوادث ٣١ من آذار ، كانت كتائب الزحوف أول من تقيد بالأوامر السلطانية ، فلم تشترك بأي حركة تسيء إلى السلطان أو إلى الدولة .

وطوال حكم عبد الحميد لم تنقطع رواتب الأشراف من آل البيت إذ كانت تصل إليهم بانتظام بالإضافة إلى ذلك كانت تصل إليهم هدايا ونياشين دورية من السلطان.

وكان هناك يوم خاص يحتفل فيه بإستانبول بمناسبة إرسال سترة الكعبة إلى الحج ومع السترة ترسل أعلام وهدايا ثمينة .

## عبد الحميد والأكراد

كان في الولايات الشرقية والجنوبية من تركيا عدد كبير من الأكراد أكثر هؤلاء لا يعرف اللغة التركية ، أغلبهم شيعة والقليل منهم من أهل السنة . عاشوا تحت إمرة شيوخهم في استقلال ذاتي لا يدفعون الضرائب ولا يتعايشون مع الأتراك . استطاع عبد الحميد أن يسوسهم بالطرق الدبلوماسية فدرس أبناءهم في مدرسة العشائر في إستسانبول . وعين بعضهم في مناصب الدولة ومنهم من قدم للبلاد خدمات جلى .

ومن أشهر رجالات الأكراد في عهد عبد الحميد علي شامل باشا الذي كان من كبار المتنفذين حتى إنه بسبب خلاف وقع بين أخيه وأمين العاصمة رضوان باشا صحح على قتله ، وقتله فعلاً على أيدي رجاله . الأمر الذي أدى إلى غضب عبد الحميد عليه فنزع منه رتبته ونفاه هو وعشيرته إلى طرابلس الغرب .



# عبد الحميد والأرمن

عندما تولى عبد الحيد الخلافة كانت روسيا القيصرية تتبع سياسة الصداقة مع العثانيين في الظاهر إلا أنها سعت في الوقت نفسه بفصل السلافيين والصرب و بمغار والقرة داغ عن الدولة العثانية . وفي عام ١٨٧٧ أسفرت عن وجهها الحقيقي ودخلت في حرب مع العثانيين كانت نتيجتها فصل أكثر مناطق البلقان عن الدولة . وفي معاهدة برلين اضطرت الدولة العثانية لقبول الأمر الواقع إلا أنه بفضل ضغط الألمان على الروس بقيت بلغاريا فترة أخرى تحت الحكم العثاني .

في تلك الفترة سادت العالم الأوربي فكرة تقول بأن حل أي مشكلة كامن في اقتطاع أي جزء جديد من جسم الإمبراطورية العثمانية . وفعلاً كانت البوسنة والهرسك وألبانيا وطرابلس الغرب والكردستان وأرمينية والوهابية مشكلات تنتظر دورها في الحل على الطريقة الأوربية .

ولإنشاء دولة أرمنية نذر الأرمن أنفسهم أدلاء لروسيا

القيصرية . فقامت عصابات الطاشناق والمتشاق بنشر الرعب في الأناضول والقيام بحركات الإبادة والترد ليكونوا السبب في تدخل الدول الأجنبية . ثم إنهم أصبحوا مطية لليهود في عاولتهم اغتيال عبد الحميد عند خروجه من صلاة الجمعة في يلدز . وحاولوا نهب البنك العثماني وتعاونوا مع الصهيونية إلى أبعد الحدود لتحقيق هدفهم المشترك وهو القضاء على الدولة العثمانية . وعندما أراد الأرمن ضرب الجيش العثماني من الخلف أثناء الحرب العالمية الأولى وأثناء التحريات التي أجريت في أماكن عبادتهم عثر على كيات هائلة من الأسلحة الروسية .

لذا قرر الاتحاديون تهجيرهم . وقد لحق الظلم ببعض الأرمن من التهجير لكن كانت عصاباتهم هي السبب في هذا التهجير .

\* \* \*

### عبد الحميد واليهود

ذكرنا سابقاً أن اليهود عاشوا أهناً أيامهم في عهد عبد الحيد . ومع هذا كانوا هم السبب في سقوط حكمه لعدم تاهله معهم حول الهجرة إلى فلطين .

ولو قبل عبد الحميد الرشوة التي قدمها تيودور هرتزل لما سقط حكه .

فاليهود هم قبيلة أصلهم من جزيرة كريت جاؤوا إلى أرض فلسطين وحكهم رمسيس الشاني فأصبحوا تبعاً له إلى أن استرجعهم الملك داود . وبعد القرن السابع ضاعوا في مجاهل التاريخ في حين بقي اسمهم في القدس بتعايش الأديان اليهودية والنصرانية والإسلام . والمكان الذي أتى إليه عيسى عليه السلام من الناصرة على ظهر حمارة وجلس وأكل فيه . هو الآن قبلة اليهود ( جبل صهيون ) ، الذي يرقد فيه تيودور هرتزل المطرود . ويذكر التاريخ أن هذه البلاد حكها البابليون والحثيون وإسكند الكبير والرومان والعرب والصليبيون والتتار والعثانيون ...

ذكر إسرائيل كوهين في كتابه « الحركة الصهيونية » ص ١٧ ما يلي : « بتاريخ ١٨ من مارس عام ١٩٠١ تقدم يهودي محري اسمه أورمينوس ومبرغ بمبلغ ضخم من المال إلى السلطان عبد الحيد يريد شراء فلسطين لليهود فما كان من عبد الحيد إلا أن طرده من القصر على الفور » .

# ويقول في مكان آخر من الكتاب :

« وفي ٢٣ من تموز ( يوليو ) عام ١٩٠٢ طلب تيودور هرتزل من عبد الحميد أن يعطي فلسطين لليهود ، فأجاب عبد الحميد إن اليهود يقيون في كل أنحاء المالك العثانية ، فإن لم يكن لهم مكان للإقامة فبإمكانهم أن يسكنوا في العراق أو سورية أو حتى في بلاد الأناضول أما فلسطين فليس هناك مجال لطلبها . ولما رأى هرتزل ذلك من عبد الحميد ، عرض عليه رشوة مقدارها ٥ ملايين ليرة ذهبية فكان هذا التصرف سبباً لطرده من القصر على الفور » .

### من الاستبداد إلى الحرية

في الوقت الذي استمر فيه حزب تركيا الفتاة بالنشاط في باريس وإستانبول وبلاد الروم . تشكلت منظمة سرية بين ضباط الجيش الثالث في مناستر وسلانيك وغيرها ، غايتها إسقاط حكم عبد الحيد الاستبدادي والعودة إلى روح الإعلان الدستوري الأول والحرية ، والتسك بالدولة العثمانية وعدم التفريق بين المواطنين من أي دين أو عرق أو صنف كانوا . وتقوية الخلافة وجعل الجيش سنداً للثورة .

وفي أغسطس عام ١٣١٥ رومية قام موزع البريد طلعت أفندي مع سبعة من أصدقائه بتشكيل أول خلية لجمعية الاتحاد والترقي في سلانيك .

سمع بالنبأ أحمد رضا وهو أحمد كبار أعضاء حزب تركيا الفتاة بباريس فأرسل الدكتور ناظم إلى سلانيك للاتصال بالتنظيم الجديد وتأييده ، اتصل هذا بطلعت وبعد أخذ ورد تقرر أن يكون للجمعية فرع في باريس وأطلق عليه اسم

التنظيم الخارجي لجمعية الاتحاد والترقي .

فجرى أول انتخاب في التنظيم الـداخلي بتـدبير من طلعت الذي كان قد رقي إلى درجة كاتب أول في إدارة البريد .

أحس المحفل الماسوني في سلانيك بأن طلعت سيكون له مستقبل كبير في الدولة العثانية فاتصلوا به وسجلوه في عداد الماسونيين ورقي طلعت إلى عدة درجات في المحفل الماسوني وأصبح يتقاض منه راتباً شهرياً مقداره عشر ليرات إنكليزية . كان الرأس المدبر للماسونية في سلانيك هو عمانوئيل قره صواليهودي . وقد استطاع هذا أن يحتضن طلعت أكثر فأكثر .

أخبر عبد الحيد بما يجري في أوساط الجيش الثالث وذلك عن طريق عيونه التي بثها في كل مكان . وفي هذه الأثناء قدم طلعت وقره صو إلى إستانبول لتوثيق العلاقة مع تنظيم إستانبول لحزب تركيا الفتاة . فألقي القبض عليها ، واستجوبا أمام لجنة خاصة شكلت بقصر مليرز بصورة مستعجلة ، استطاع قره صو بدهائه أن ينقذ نفسه وينقذ طلعت معه إذ قال : نحن ماسونيون لا ننكر ذلك لكننا لسنا أعضاء في جمعية قال : نحن ماسونيون لا ننكر ذلك لكننا لسنا أعضاء في جمعية

سرية ، فاقتنعت اللجنة بكلامه .

كان من بين أعضاء اللجنة رجل اسمه محمد باشا (أعدم بعد إعلان الحرية ) جاهل بكل ما في الكلمة من معنى ، سأل قره صو : ما هي الماسونية ؟ فأجاب اليهودي : الماسونية هي الإنسانية الكاملة .

- ـ يقال إن لهم إشارة خاصة ؟
  - ـ نعم ياسيدي .
- ـ انظر ، هل بيننا أحد ماسوني .
- ـ حاشا ياسيدي الباشا لا يوجد بينكم أحد ماسوني .

ثم أطلق سراحها . لكن عبد الحميد كان يعرف ما يبيتان ، فأمر بملاحقتها سراً .

ولدى عودتها إلى سلانيك وجدا أن نشاط الجمعية قد ازداد ودخل فيها شخصيات هامة في الجيش ، من بينهم ( البكباشي جمال بك \_ جمال باشا فيا بعد ) وكان من أركان حرب الجيش الثالث ، و ( قائد الجناح فتحي بك \_ فتحي أوقيار ) ، و

(قائد الجناح مصطفى كال ـ أتاتورك ) وكان قادماً من دمشق الشام .

انفجر الموقف بالشرارة الأولى التي انطلقت في مناستر مقر قيادة الجيش الشالث . حدث أن اغتيل قائد الجيش الفريق الأول شمسي باشا الأرناؤوطي على يد الملازم عاطف بك أحد فدائبي الجعية . واستطاع الجاني بمساعدة رفاقه أن يتوارى عن الأنظار . كانت هذه الحادثة سبباً في الاضطراب الشعبي .

ومن جهة أخرى كانت ترسل قوات إلى الجبال بقيادة المشير عثان باشا الططري . في هذه الأثناء قام قائد الجناح نيازي بك بالسيطرة على مركز البريد في رُسنة وأرسل من هناك برقية إلى السلطان عبد الحميد يعلمه فيها أنه سيعلن الحرية والدستور ويطالبه أن يقبل ذلك دون قيد أو شرط . وإلا فالمسؤولية الكاملة تقع عليه ، وينضم قائد الجناح أغور بك إلى زميله نيازي .

أرسل السلطان برقية إلى المفتش العام هنـاك حسين حلمي باشـا يسـألـه فيهـا عن قوة الاتحـاد والترقي وعن الوضع ، فكان

الجواب : مولاي جلالة السلطان . أود أن أعلمكم أن كل فرد هنا سواي عضو في جمعية الاتحاد والترقي .

أسندت مهمة القضاء على جمعية الاتحاد والترقي للمشير خيري باشا الذي كان موجوداً في سلانيك ولكنه رفض هذه المهمة . عندئذ تكفل بالأمر إبراهيم باشا قائد منطقة سرز (SEREZ) وأرسل الفريق شمسي باشا إلى مناستر لكن هذا الأخير اغتيل على يد الملازم عاطف .

هزت الحادثة السلطان عبد الحميد هزاً عنيفاً إذ كيف تقع حادثة الاغتيال تحت سمع وبصر ثلاث كتائب من الجيش وفي ساحة مكتظة بالناس.

وفي الصباح الباكر من يوم الخيس ٩ من تموز سنة ١٣٢٤ اجتمع مجلس الوزراء ودام الاجتاع حتى الساعة الثامنة من الليل ، جرت فيه مناقشات حامية اشترك فيها رضا باشا قائد الجيش ودافع عن المطالبين بالحرية ، أما إسماعيل باشا فقد طالب بالتنكيل بالمتردين والقضاء عليهم . وفي يوم الجمعة العاشر من تموز تاخرت الصحف عن النشر فبالم

التساؤلات: لم تأخرت الصحف، من السبب، في حين كانت الحرية قد أعلنت في مناستر وسلانيك وأصوات المدافع تلعلع في كل مكان. وبلاد الروم كانت ترقص من نشوتها. ولم تتدخل قوة عسكرية لمنع هذه التظاهرات. فالسهم خرج من قوسه. وبعد تأخر ساعات صدرت الصحف معلنة عن أن الحكم سيكون مقيداً في كافة الأقطار والمالك العثمانية وإن إرادة سنية ستصدر بهذا الشأن.

وبعد قليل سمعت أصوات المدافع حول إستانبول وتعانق القساوسة بالمشايخ واليهود والنصارى بالمسلمين ، وأعلنت الحرية بشعاراتها الثلاثة : العدالة والمساواة والأخوة يوم الجمعة في العاشر من تموز سنة ١٣٢٤ .

استقبلت جماهير إستانبول جماعة الاتحاد والترقي استقبال الأبطال المنقذين ، وهتفت بسقوط الاستبداد وبحياة النيازيين والأنوريين وقام الخطباء من كل جانب يهنئون بالحرية ويلعنون الاستبداد .

ومن جهة أخرى صدرت قرارات إعدام عاجلة على بعض

كبار ضباط الشرطة السرية ، من هؤلاء ، فهمي باشا الذي فر إلى يني شهر فقبض عليه الأهالي وقتلوه بالعصي والحجارة . وعزت هولو باشا الدمشقي السرياني والكاتب العام للقصر الذي استطاع الهرب إلى خارج البلاد .

وفي يوم السبت الحادي عشر من تموز سنة ١٩٠٨ كانت أصوات بائعي الصحف تدوي في شوارع إستانبول معلنة نبأ استقالة وزارة فريد باشا وتعيين سعيد باشا رئيساً للوزراء وجال الدين أفندي شيخاً للإسلام . وإعلان الحرية والدستور ، فقد مض عهد الاستبداد وبدأ عهد الحرية ، ولقد رأت أجيالنا فيا بعد أي شيء هذه الحرية ، عاشت مصائب ونكبات خُنق فيها البشر كالكلاب على أعواد المشانق وطعن الأبطال بالحراب في صدورهم وشهدت الأرض التي أقسم جيشها على تحقيق الحرية ، حمامات الدم والإبادة الجماعية . كل ذلك كان في عهد الحرية .

## العفو العام

كانت الإمبراطورية العثمانية تمتد من جبال البلقان إلى القفقاس ومن الصحراء الكبرى في إفريقيا حتى الحيط الهندي، وتمتلك اثنتي عشرة جزيرة في بحر الخزر (إيجه)، وعلى أثر إعلان الحرية تقرر العفو العام ففتحت السجون في كافة المالك العثمانية، فلم يبق فيها أحد ممن حكم أو أوقف. كانت هذه أول مرة يصدر فيها العفو العام على جميع المستويات في تاريخ الإمبراطورية.

إن إعلان الاتحاد والترقي العفو العام هو أول خطأ كبير ارتكبته بحق هذه البلاد ، فما إن فتحت أبواب السجن حتى انتشر آلاف المجرمين من مختلف الأجناس في أنحاء المملكة ، فكانوا سبباً في خلق كثير من المتاعب .

وفي غمرة الفرحة التي عمت إستانبول كان نزلاء سجن السلطان أحمد يهتفون بحياة عبد الحميد مطالبين بإعلان العفو العام، ويحاولون تحطيم الأبواب والنوافذ

أما مجلس الوزراء فقد اجتمع تلك الليلة أي ١٠ من تموز وقرر العفو العام ثم قدمه إلى القصر لمصادقته وإعلانه ، فلما قرأ السلطان محتوياته سأل الوزراء الذين جاؤوا إليه :

أليس في هذا الشمول خطر على الدولة ؟ ولما أجمابوا ليس هناك أي خطر يامولانا . قام بالتوقيع على القرار .

هـذا وقـد تلي القرار على جميع السجنـاء والموقوفين إذ ينص على إخلاء سبيلهم دون قيد أو شرط .

عمت المظاهرات أرجاء إستانبول حيث كان المتظاهرون يهتفون بحياة النيازيين ( نسبة إلى نيازي ) والأنوريين ( نسبة إلى أنور باشا ) والاتحاديين ، وبسقوط الاستبداد .

وفي ١١ من تموز جاء إلى السجن المركزي وفد رسمي يرافقه شيخ مسلم وراهبان رومي وأرمني ، وحاخام يهودي ذو عمامة وجبة خضراوين . ثم وضع أمام باب السجن الرئيسي وعلى منضدة واحدة أربعة كتب : مصحف ، وإنجيلان ، وتوراة فوقف الجيع ، ثم تلا المدعي العام قرار العفو العام ، وأعقب ذلك الدعاء للسلطان بالتوفيق والعزة والنصر ثم وقف السجناء

في رتل طويل وبدؤوا بالخروج من سجونهم .

إنه منظر مؤلم ، ومسألة تستدعي التفكير العميق ، فالغالبية العظمى من السجناء عمن تردت أحوالهم والبعض منهم تظهر عليه آثار التنعم والتسلط والبذخ .

كان المدعي العام يسأل عن اسم السجين ثم يأمره بأن يضع يده على الكتاب الذي يؤمن به ويحلف ألا يرتكب جريمة بعد الآن ، ويطلق سراحه ، وعندما غربت الشمس كانت السجون خالية عاماً من نزلائها ، وكان مئات القتلة واللصوص وهُتّاك أعراض الناس قد دخلوا في خضم المظاهرات والمسيرات في إستانبول وسائر المدن الأخرى . إن من هؤلاء مَن إذا أخذ قسطاً من دفء الشمس انقلب ثعباناً فتاكاً ، إنها فرصة ذهبية قسطاً من دفء الشمس انقلب ثعباناً فتاكاً ، إنها فرصة ذهبية لأن يشبع هؤلاء كل غرائزهم ومكبوتاتهم . كانت هناك حرية مطلقة ، وإن شئت فقل فوض ، ليس لأي قوة إدارية أن تتدخل للحد منها .

لقد شهدت بأم عيني حادثة تقشعر منها الأبدان مازلت أتخيلها . إذ كان من بين المسجونين وحش في صورة بشر اسمه

أحمد الجنزار حكم عليه بالإعدام بسبب قتله عدداً من الأشخاص ، ثم خفض الحكم إلى المؤبد ، ولما أطلق سراحه مع بقية الحكومين نزل إلى الشارع وأخرج سكينة من جيبه وبدأ يطعن كل من يصادفه في الطريق فقتل تسعة أشخاص ثم توارى عن الأنظار ، ونشرت الصحف الحادث بالتفصيل وتمكن القاتل من الفرار إلى اليونان .

إن غرضي من سرد هذه الحادثة هو بيان الحالة النفسية للناس وكذلك نصيب هؤلاء القتلة والجرمين في أحداث مآسي ٢٦ من آذار وما تلاها من أعال السلب والنهب . هناك كثير من الناس يحاولون الاصطياد في الماء العكر ولقد رأينا نماذج منها في حركة الإصلاح الأولى قبل قرن من الزمان .

إن كثيراً من المـــآسي عبر القرون كانت بسبب بعض السيــاسيين الطــامعين الــذين يتسترون وراء الحق في سبيــل الوصول إلى مطامعهم ، إنهم جراثيم حية تغلغلت في عروق هـذا المجتع .

فهؤلاء هم الـذين وضعوا ٣١ من آذار ( مـارس ) على مسرح

الأحداث (١) ، لقد أطلق العنان للصحافة فاستغل الأعداء هذا · الوضع فصاروا يستخدمونها لتلبية أهدافهم ، وعمدوا إلى تطبيق خطة مدح الاتحاد والترقي والنيل من مكانة الخلافة العثانية .

إن الفاصل الزمني بين إعلان الحرية وخلع السلطان عبد الحميد هو تسعة أشهر وخمسة أيـام لم تستطع أركان جمعيـة الاتحاد والترقي خلالها السيطرة الكاملة على الحكومة ومن كسر شوكة السلطان إذ إن الهدف الأصلي لم يتحقق ، فـلابـد من إسقاط ما أسموه بالحكم الاستبدادي والوصول إلى الهدف المنشود . لذلك قدم إلى إستانبول وفد اتحادي من سلانيـك يضم طلعت وأنور وجاويد ورحمى وعقدوا اجتماعاً دعوا إليه رؤساء الدوائر والولاة والمتصرفين والقائقامين وطلبوا منهم تنسيق المواقف مع مراكز الجمعية والعمل في نطباق الأسس والمراحل المقررة من قبلهم فاستغل البعض منهم اسم جمعية الاتحاد فصاروا يفرقون بين الاتحادي وغير الاتحادي في المعاملات ، الأمر الذي أدى إلى فقدان الثقة الشعبية في الإدارة .

<sup>(</sup>١) وكان المستفيد الأكبر هم اليهود وعلى رأسهم جاكوب شيف.

ومن جهة أخرى ظهر إلى الوجود أبطال للحرية مزيفون كالهرر تحكي انتفاخاً صولة الأسد فكانوا عوامل هامة في إخراج أحداث ٣١ من آذار إلى حيز الوجود وسنتطرق إلى بعض هذه العوامل:

فهناك طبقة المسرحين من الخدمة لاتهامهم بالظلم والاستبداد ، طردوا من أعمالهم دون أية تعويضات .

أما الجيش فكان مؤلفاً من صنفين من الضباط ، صنف دخل الكليات العسكرية فتخرج ثم ترقى ، وصنف ترقى بفضل خدماته وتحمله المشاق في شتى أنحاء الإمبراطورية التي تبلغ مساحتها أربعة ملايين كيلو متر مربع يقطن فيها ٣٤ مليونا من البشر ، خدم في مجاهل الين الحارة وصحاري الحجاز الجافة ، كا ذاق الأمرين في مواجهة عصابات البلغار والصرب واليونان ، فكان عسكرياً مترساً ترقى عن جدارة .

هؤلاء سرحوا من الجيش بجرة قلم دون أية تعويضات أو رواتب فساءت أحوالهم فلجؤوا إلى صف المعادين للحكم .

كا انضم إلى هؤلاء طلبة المدارس الشرعية حين قررت

الحكومة تطبيق التجنيد الإجباري عليهم بعد أن كانوا معفيين منه .

أما في جمعية الاتحاد والترقي فقد انقسم الضباط إلى قسمين: قسم ظفر بمناصب هامة ومنهم القائم المقام أركان حرب جال بك ( جال باشا ) والبكباشي أركان حرب أنور بك ( أنور باشا وزير الحربية والقائد العام للجيش فيا بعد ) والبكباشي أركان حرب فتحي بك ( فتحي أوقيار ) الذين أصبحوا ملحقين عسكريين .

وقسم عزَّ عليه أن تكون الأسلاب خاصة ببعض دون بعض ، ولما لم يظفر بأي شيء لجأ إلى المعارضة فتشكلت بذلك لجان المنقذين والمجددين والأرناؤوط . وبدأت كل لجنة تسعى على انفراد للوصول إلى مبتغاها . فكان هذا الوضع فرصة ذهبية للدوغة المتشبعين بروح اليهود الذين تستروا بقناع الثورية لينقضوا على الدولة ، فعملوا على توسيع شقة الخلاف بين الحكم والمعارضة وتأزيم الأمور .

أما أبطال الحرية فلم يأبهوا بما يبيته رفاق الأمس بل

سخروا من معارضتهم ، وأما الصحافة فقد وقفت إلى جانب المعارضة وصارت توجه الانتقادات إلى الضباط الحاكين وبذا بقيت جمعية الاتحاد والترقي مشلولة تجاه مؤيدي الضباط ومعارضيهم ، فلم تتكن من تثبيت دعائم الحكم وبدأ ضعاف البصائر من سياسي الجمعية يسلكون طريق التصفية داخل الجمعية وخارجها .

كان الصراع عنيفاً بين الاتحاديين المتطرفين وبين معارضيهم من أنصار الحرية المعتدلين وقد هدد المتطرفون أصحاب الصحف التي ما فتئت توجه الانتقادات إليهم ، بسحقهم إذا هم استروا في انتقاداتهم ، ولكن الصحافيين الذين اتخذوا من الحرية مبدءاً يسيرون عليه لم يلتفتوا إلى هذه التهديدات مها كلفهم الأمر أما المتطرفون فقد كانوا جادين في تهديدهم فبدؤوا بحسن فهمي بك رئيس تحرير الجريدة سربستي ، فقتلوه ليلة السابع من نيسان عام ١٩٠٩ على جسر غلطة وألقى القتلة أنفسهم في البحر حيث كان زورق صغير بانتظارهم فلاذوا بالفرار قبل أن تتكن الشرطة من القبض عليهم وقد اعتقل عدد من المشتبه بهم لكن القتلة الحقيقيين كانوا من كبار رجال

الجمعية فلم تتكن التحقيقات من الوصول إلى الحقيقة وبقى الجناة في منأي من قبضة العدالة . فأحد الجناة هو أمين الذي كان من الشرطة السرية قبل إعلان الحرية ، فالتحق بعدها بالجهاز السري لجمعية الاتحاد والترقى ، أما الآخر فهو وحيد الإسكداري الذي كان محكوماً عليه بالسجن المؤبد فشمله العفو العام ، فخرج من السجن ليستأنف جرائمه وعندما احتلت إستانبول من قبل الإنكليز صار يعمل لحسابهم فقتل عدداً من المواطنين الذين قــاوموا الاحتلال ، ولمــا تحررت إستــانبول على يد القوات الوطنية لم ير هذا الجاني بدأ من الهرب إلى مصر . ولم تمض مدة طويلة من الاغتيال السابق حتى اغتيل صحفى شاب اسمه أحمد حميم في وضح النهار وعلى ملاً من الناس وقد التجأ الجناة إلى مخفر قريب لا يبعد أكثر من عشرين خطوة من مكان الحادث كا سرقت خزينة وزارة الأوقاف ولم يقبض على الجناة ، أما قتلة زكي بك فها ناظم الجركسي وأحمد (١) من فدائبي جمعية الاتحاد والترقي .

 <sup>(</sup>١) أعدمها جمال باشا بدمشق لاغتيالها زهراب وارتكس أفندي حيث كانا في طريقها إلى الحاكم الميدانية في وان خلال الحرب العالمية الأولى .

كان هنـاك من يعرف القتلـة الحقيقيين لكن أحـداً لم يجرؤ على البوح باسم أحد منهم .

وفي اليوم الثاني من شهر تشرين الأول عام ١٩٠٨ استُدرج ماهر باشا ( وهو من رجال السلطان عبد الحيد ) من قبل موظفين إلى خارج بيته بحجة دعوته إلى اجتاع هام في وزارة الحربية ، ثم قتل في قارعة الطريق . وحُكم على الفريق وفيق باشا قائد فرقة الخيالة الأولى السابق ، مدة ستة أشهر .

#### مجلس المبعوثان

بعد إعلان الدستور أصبح القصر العدلي الكائن في حي السلطان أحمد بإستانبول مقراً لمجلس المبعوثان ، وكانت مساحة الإمبراطورية العثمانية وقتذاك تزيد على ٤ ملايين كم ٢ وعدد سكانها ٣٤ مليون نسمة وإلى جانب ولايسات حلب ودمشق وبيروت ومكة والمدينة والحجاز والموصل والين وطرابلس الغرب كانت بنغازي وجبل لبنان والقدس متصرفيات مستقلة بينا كانت مصر إقلياً له استقلاله الداخلي حيث يعين أميرها من قبل الحاكم العثماني .

أما في بلاد الروم فقد كان للدولة العثانية ٧ ولايات وعدد من المتصرفيات تقرر بعد إعلان الحرية أن يكون لكل ولاية ومتصرفة نواب يجتمعون في مجلس واحد للتباحث في شؤون هذه الولايات والمتصرفيات ، حيث جرت مناقشات مثيرة واتخذت قرارات هامة كان لها أكبر الأثر في أحداث ٣١ من آذار وفي مستقبل الإمبراطورية العثانية .

كانت الأيام قضى بينها سلبيات نواب الأقوام غير المسلمة تزيد يوماً بعد يوم وفقاً لخططات الماسونيين الـذين جعلوا من أحمد رضا بك الماسوني رئيساً للمجلس ليلي رغبات حزب الشباب الأتراك من جهة ورغبات الصهاينة من جهة أخرى . وأحمد رضا بك لم يكن تركياً خالصاً بل ولد لأب اسمه على الإنكليزي من زوجته النمساوية غير المسلمة وقـد عرف عنــه أنــه كان يفتخر بكون أبويـه غير مسلمين ويحس بنفسـه غريبـاً عن المجتمع المسلم حاقداً عليه . ولمه دور كبير في توسيع شقـة الخلاف بين النواب المسلمين وبين نواب الأقليات ، وكذلك في أحداث فتنة ٣١ من آذار وقـد بحث عنـه الجنود خلال محـاصرتهم لمجلس المبعوثان فلم يجدوه ، ولما خرج إليهم وزير العدلية ناظم باشا ليهدئهم ظنوه أنه رئيس المجلس أحمد رضا ـ وكان بينها شبـه ـ فأجهزوا عليه وقتلوه .

أما رأس الأفعى عمانوئيل قراصو فقد استطاع أن ينفذ إلى جمعية الاتحاد والترقي وبدأ يسير سياسة الدولة إلى الوجهة التي يريدها هذا اليهودي الماسوني ومعه جاويد (دونمة ) وطلعت باشا وهو الذي أشعل فتيل الفنتة في ٣١ من آذار .

ومن جهة أخرى كان هناك بين النواب العرب من يسعى نحو الاستقلال عن الدولة ، وبسبب عدم معرفتهم اللغة التركية كانوا في معزل عن المناقشات التي تدور في الجلس ، ومن هؤلاء عبد الحيد الزهراوي نائب الشام وشفيق المؤيد نائب بيروت اللذان أعدما مع عشرين آخرين بعد أن ثبتت إدانتها بالخيانة العظمى والاتصال بدولة أجنبية .

وقبل أن ندخل في وقائع أحداث ٣١ من آذار أريد أن أسجل هنا ما قاله الفيلسوف والمفكر التركي رضا توفيق أمام المحكة وهو يدلي بإفادته حول الحوادث المؤلة:

« سيدي الحاكم ، عفا الله عنا ، إن سيئاتنا عظية جداً ، ففي الأيام التحضيرية لمأساة ٢١ من آذار أخبرت طلعت بك بضرورة تجنب هذه الكارثة وأوضحت له جسامة الجريمة في إهراق دماء الإخوة وذكرته بما ستجره هذه الأحداث من ردود فعل عنيفة ، فأجابني : ليس لنا الحيار ، إن الجعية (١) بحاجة إلى مال ولا يتوفر هذا المال إلا في خزينة قصر يلدز حيث

<sup>(</sup>١) يقصد جمعية الاتحاد والترقي .

المجوهرات والأشياء الثمينة » .

هذه الكلمات من رجل شهد الأحداث بكل دقائقها تكفي لإلقاء الضوء على ما خفي وغاب عن المسرح، مع ذلك سنسعى لإيضاح كل الجوانب بكامل الأدلة التي رأيناها رأي العين ولمسناها لمس اليد، سأذكرها للتاريخ وللأجيال القادمة كي تتعظ بهذه الكارثة الألية وتتبين طريقها، إن أحداث ٢١ من آذار امتحان عسكري عصيب بالنسبة لتاريخ الإمبراطورية العثمانية، ولكن من هم أساتذة هذا الامتحان ومن هم تلاميذه ؟ هذا مالم يسجله مؤرخو اليوم بأمانة وإخلاص، ولا يعرف هذه المؤامرة إلا من كان تلميذاً في هذا الامتحان العصيب، وقدار الله أن أكون أحد هؤلاء التلاميذ.

يقول المؤرخ المرحوم أحمد رفيق بك في كتابه: منظمتان وكارثتان « عندما نتذكر نشيد جيش الحركة بكلماته: ( لقد أقسم جيشنا ، فاهتزت أرجاء الأرض ولقيت الأمة البشر والحبور وجاء دور الرخاء والسعادة ) لابد أن نتذكر معه

<sup>(</sup>۱) کتاب منظمتان وکارثتان ص ۵۱ ـ ۵۲ .

الاتحاديين من الأتراك والأرناؤوط والزط والبلغار والروم، وكذلك أصوات المدافع والرشاشات ودفع خليفة عثاني خلع دون أن يكون له أي ذنب في الأحداث وخزينة دولة نهبها أدعياء الحرية، ولوحات مثبتة على صدور ضباط وجنود أبرياء علقوا على أعواد المشانق أمام جامع أيا صوفيا بين أشجار الكستناء في أيام نيسان الدافئة.

إنها أيام حالكة السواد . ليت هذا الجيش لم يقسم هذه المين وليت هذا الوطن لم يفقد - بسبب هذا القسم - عزته وشرفه ، إن الاتحاديين هم الذين سببوا كل هذا الويل والشقاء لأمتنا ووطننا » .

إنها قولة حق قالها هذا المؤرخ ، فجمعية الاتحاد والترقي (أو إن شئت فقل حزب تركيا الفتاة ) هي السبب والمسؤولة عن سلسلة الكوارث والفظائع والمظالم ، أما الذي هيأ لهذه الكوارث ووضع تفاصيلها ومؤلها فهي الصهيونية ومنظهاتها الماسونية .

فإنكلترا تسعى لإلغاء الخلافة وتحطيم الإمبراطـوريــة ،

وإيطاليا وضعت نصب عينها الاستيلاء على ليبيا وإنطاكيا ، أما الدونمة فوجهوا أنظارهم تجاه فلسطين ، وأما الاتحاديون فبهرتهم خزينة قصر يلدز فلابد من ثورة ولابد من أحداث ٣١ من آذار .

كنا نعتقد بأن جمعية الاتحاد والترقي هي التي أنقذتنا من الاستبداد ؛ لذلك انخرطنا في صريفها وتطوعنا بين فدائييها لا نهاب الموت ولا نعبأ بالمهالك ، نطيع الأوامر دون تردد . لكن السياسة المنحرفة التي اتبعتها هذه الجمعية التي قضت على كل المساعي وكل التضحيات .

لقد أعلن الاتحاديون مع إعلانهم الحرية أن النظام الجديد هدف إلى تنسيق عسكري وإداري في سبيل إزالة رواسب التخلف والركود وإعادة هيبة الدولة بعد أن أزالتها الثورات والحروب والفتن الداخلية فاعتقد الناس أن جمعية الاتحاد والترقي هي الأمل في هذا المستقبل المنشود .

لكن الذي حدث هو أن أعداء الأمة تغلغلوا في صفوف هذه الجمية فاستطاعوا جرها إلى طريق معوج وسياسة

هـوجـاء ، فحـدثت كارثــة ٣١ من آذار التي جرت الاتحــاديين ومعها الأمة إلى بلاء عظيم فقتلت الأمة على أيدي أبنائها .

فرؤوس هذه المؤامرة زينوا لرجال الجعية طريق الوصول إلى كنز يستطيعون به أن ينهضوا بالبلاد ـ على زعمم ـ والكنز هو ما جمعه السلطان عبد الحميد عبر السنين من استثمارات ومشاريع وهدايا وتحركات عن أجداده حيث كان يدخرها لأيام عصيبة يكن أن تمر بها الدولة والأمة ، كان هذا مدفونا تحت بركة ماء في مكان سري من حديقة القصر لا يدري به سوى عبد الحميد وزوجتيه ومصاحبيه جعفر آغا ونادر آغا(۱) كا أموالاً مودعة في بنوك فيينا تبلغ (٧٠٠,٠٠٠)

إنه اقتراح جذاب ، فبعد اجتاعات عدة ومداولات بين رؤساء الجمعية اتخذ القرار التالي : « العمل على إحداث عصيان مسلح واغتنام الفرصة للاستيلاء على ثروة قصر يلدز والضغط على السلطان للحصول على موافقته بسحب المودوعات في

 <sup>(</sup>١) جاورت هذا الرجل فيا بعد في المسكن فأفثى إلى بهذا السر بعد الحوادث بعشرات السنين .

فيينا ، والإنفاق بعد ذلك على المصالح الضرورية في الجيش والإدارة المدنية للنهوض بالبلاد إلى مستوى رفيع ، ثم خلع السلطان عبد الحميد وتنصيب ولي العهد عمد رشاد ( وهو الرجل المطاوع ) وقد اعترض على هذا القرار بعض المتعقلين في الجعية لكن اعتراضهم ذهب أدراج الرياح .

وبموجب الخطة المدبرة سيستعان بالمشايخ بجعلهم وسيلة لإيقاد نار التعصب ، فلابد أن يكون لدى الجنود ( وهم مسلمون متسكون بدينهم ) رد فعل تجاه تصرف مخالف للدين .

ومن جهة أخرى استصدرت جمعية الاتحاد والترقي قانوناً يقضي بتطبيق التجنيد الإجباري لطلبة الطرق الصوفية بعد أن كانوا معفيين منه فحقد هذا الصنف من الناس على الدولة وتحفز للتعبير عن كوامنه . والأمر اللافت للنظر هنا هو لجوء رؤوس المؤامرة إلى خطة دنيئة وهي إشعال الشرارة الأولى على يد كتائب الرماة التي استخدموها للمرة الأولى في ثورة إعلان الدستور .

كانت هذه الكتائب حققت إعلان المستور في إستانبول

واتخذت الكتيبة الثانية مقرها في سراي بورني<sup>(۱)</sup> أما الكتيبة الثالثة والكتيبة الرابعة فعسكرتا في ثكنة طاش قشلة<sup>(۲)</sup> وذلك بغية الحفاظ على النظام الدستوري المفروض على السلطان . ومن أبرز ضباط هذه الكتائب البكباشي رمزي وهو رجل يهودي الأصل صهيوني الهدف .

أما الجنود فكانوا من الأتراك ومن بعض الأرناؤوط ولاشك أنهم بسبب تحقيقهم الثورة الدستورية يحسون بتفوقهم على أقرانهم من أفراد الكتائب الأخرى ولذلك كانت لهم أزياء خاصة عبارة عن خاكي ذي أربعة جيوب .

بدأت مأساة ٣١ من آذار في ثكنة طاش قشلة وانتهت هناك أما المؤلفات حول هذا الموضوع فلم تبحث عن هذه الثكنة ولا عن جنودها . إن عدد جنود القوات الخاصة في هذه الثكنة كان عثرة أمثال عدد قوات كتائب الرماة ، فأين كانوا أثناء التنفيذ وأي عمل قاموا به ؟ هذا مالم يكتبه أي كاتب في أي مؤلف ....

<sup>(</sup>١) حيّ من أحياء إستانبول مشرف على البحر ومعناه بالعربية رأس القصر .

 <sup>(</sup>٢) تقع هذه الثكنة في وسط إستانبول وهي الآن كلية الهندسة ...

## كيف بدأت مأساة ٣١ آذار

بناسبة حضور السلطان العثماني لصلاة الجمعة في مسجد يلدز يقام كل أسبوع استعراض عظم يشترك فيه كتائب من المشاة والفرسان والمدفعية والبحرية والهندسة مع فرقها الموسيقية.

وفي الجمعة الثانية عشرة من عام ١٣٦٠ رومية وبعد أن حضرنا الاستعراض في يلدز عدنا إلى ثكنتنا طاش قشلة فوجدنا في كل مهجع شيخاً ذا لحية وعمامة ، رأيناهم يلقون دروس الوعظ بين الجنود النذين لم يشتركوا في الاستعراض وعلمنا فيا بعد أن قيادة القوات الخاصة هي التي طلبت منهم هذه الدروس الدينية . كان عدد المهاجع في هذه الثكنة يتجاوز الثلاثمائة . سألنا بعض هؤلاء المشايخ عما إذا تقاضوا أجراً لقاء هذا العمل فقالوا بأن موظفين حكوميين قدموا إلى مدارسهم فأعطوا لكل واحد منهم سلفة مقدارها ليرة ونصف وأنهم سيقومون بإلقاء هذه الدروس بالتناوب في ثكنتي طاش قشلة وبك أوغلى .

إن التساؤل هنا : ألم يعلم القادة المسؤولون في هذه الثكنة بهذا الأمر ، وهل يعقل أن كل هؤلاء المسايخ يدخلون ويخرجون دون علم من قادة هذه الثكنة . إن الوضع إن دلً على شيء فإغا يدل على الدقة في تخطيط هذه المؤامرة وتنفيذها .

إن عدد جنود القوات الخاصة يبلغ عشرة أمثال جنود كتائب الرماة ، كانوا يشكلون الفرقة الثانية لهذه القوات بكتيبتها السابعة والثامنة وبالإضافة إلى الفرق الموسيقية وفرق المندسة والسجن العسكري .

فخططو المؤامرة كانوا يعلمون اسم كل فرقة وكل كتيبة على وجه الدقة والتحديد ، ودليلنا على ذلك أن هذه الفرق دعيت يوم ٣١ من آذار إلى اجتاع عام وكان النداء يتضن اسم كل فرقة مع ذكر أرقام كتائبها وطوابيرها . ولما اجتمعت الفرق في ساحة الثكنة دقت موسيقا الاستعداد والتحية لجنرال ( باشا ) لم نره من قبل ولم نعرفه ، جاء ومعه عدد من الضباط ، وبعد أداء مراسم التحية خطب هذا الباشا قائلاً بأنه سيتلو علينا

إرادة سلطانية وبدأ يتلو أمراً مطبوعاً بأحرف كبيرة مذيلاً بخاتم السلطان كنت قريباً من مكان وقوف هذا الباشا سمعت ما قاله الباشا حرفاً بحرف. وإليكم خلاصة هذا الأمر:

« لقد تراءی فی أجواء بلاد الروم سحب سودٌ تهدد مقدرات البلاد ، هذه السحب ليست دلائل خير . إنكم يــاأبنــائـى الجنود حراس هذا الوطن . من سواكم يـدفع الكيـد عن الإمبراطوريـة التي بناها أجدادنا قبل سمّئة عام وروتها الأجيـال بـدمـائهـا . ولكي تكون رؤيتكم للعدو واضحة ، أطلب منكم أن تلبسوا قبعة جديدة ، لقد أصدر شيخ الإسلام فتوى بجواز لبس هذه القبعة فمن الواجب عليكم إطاعة أولى الأمر .. » ثم أخرج الباشا من صندوق كان محمولاً ، قبعة تشبـه الأنوريـة ، وبعـد أن نزع طربوشه لبس القبعة فبدقت موسيقا التحية ومرت الكتائب أمامه ، وبعد الانتهاء من الاستعراض غادر الباشا ومعيته مكان العرض ، كانت الورقة التي تلا محتواهـا ورقـة رسميـة مـذيلـة بتوقيع خليفة السامين السلطان عبد الحيد .

لم يدر بخلد أحد أن هذا الباشا ومن معه أناس مزيفون

لبسوا لباس القادة وهيؤوا لهذه المؤامرة وحاكوا خيوطها ، لقد عرفت من بين هـؤلاء بهاء الـدين شاكر ومـدحت شكري وعرناجي الذين التقيت بهم في جمعية الاتحاد والترقي ، مع ذلك فالذي تلا الأمر هو باشا ، وهل يفكر أحد في أن هذا الأمر من صنع المتآمرين لإحداث الفتنة ؟

إن إلباس قبعة لرجل مسلم في ذلك الزمان كان يعني إلقاء شعلة نار في برميل بارود . فن المؤكد أن تحدث مثل هذه القبعة ردة فعل لدى العسكريين . لقد علمنا فيا بعد أن هذه الهيئة المزيفة ذهبت إلى ثكنة المدفعية في بك أوغلى وفعلت مثلما فعلت في ثكنة طاش قشلة ثم غابت عن الوجود ولكي يضن المتآمرون استرار المؤامرة في الوصول إلى الهدف المنشود بثوا بين الجنود أناساً جواسيس لبسوا لباس ضباط صف ( رقباء وعرفاء ) فما إن غادرت الهيئة العسكرية المزيفة الثكنة حتى دب النشاط فيهم ، فقام عمر ناجي وصعد عربة عسكرية وبـدأ يخاطب الجنود : أيها الإخوة الجنود ، اقتربوا مني ، لي بعض كلمات أقولها لكم ، ألسنا مسلمين ؟ ألم يرسلنا آباؤنا وأمهاتنا لخدمة هذا الدين المبين ؟ أتدرون ما معنى لبس هذه القبعة في

الإسلام ؟ معناه أن نخلع عهد الإسلام من رقابنا ونصير كفاراً ، فاذا تنتظرون ؟ لقد ضحًى أباؤنا وأجدادنا بأرواحهم في هذا السبيل ، إن الإسلام ينتزع منكم ، ثم خاطب كتيبة الرماة قائلاً : أقول لكم أيها الأبطال : أجئم بالحرية كي نصبح كفاراً ؟ ألم تكن مهاتكم حماية الحرية وحماية الإسلام الذي هو ديننا ؟ وكان بقية الجواسيس المنتشرين بين الجنود يطالبون بنتظيم مسيرة إلى مجلس المبعوثان ، فعلا الضجيج وكثر الصراخ ، ودقت الموسيقا أن حي على السلاح ، ولما أراد بعض الضباط الوقوف في وجوههم اعتقلوا جميعاً ووضعوا في مهجع واحد تحت رحمة الحراب .

حدث نفس الأمر بالنسبة لثكنة المدفعية في بك أوغلي ، وعجّت ساحة الثكنة بالجنود ، كيف يخطر بالبال أن يقوم نظام يسوق أبناءه إلى الموت في مؤامرة حيكت خيوطها من قبل أعداء الوطن ؟

في ذلك اليوم ، الثلاثاء ٣١ من آذار مشت الفرقة إلى طريق الجهاد . ولحقتها كتيبتا الرماة الثالثة والرابعة ، وكتيبتا

القوات الخاصة السابعة والثامنة وعندما وصل الموكب إلى دولة نعجة قام بعض الحرضين بإطلاق النار من مسدساتهم فاتبعهم الجنود بإطلاق نيران رشاشاتهم .

ولدى وصولنا إلى طونجانه انضم إلينا الجنود الموجودون في هذا المركز كما انضم عدد كبير من المدنيين وسأر الموكب نحو جسر غلطة وعند اقترابنا من الجسر كان الجيش القادم من مركز المدفعية في بك أوغلى قد لحقنا حتى وصلنا إلى يني جامع فاستقبلنا جمع كثيف من طلاب المعاهد الدينية بعاممهم البيض وهم يهتفون أترتدون عن دين الإسلام ؟ أتلبسون القبعات وتصبحون كفاراً ؟ نريد تحكيم الشريعة ، نريد تحكيم الشريعة !!! وبعد أن انضم إلينا هؤلاء المشايخ أصبح المشهد خليطاً عظياً من العسكريين والمدنيين والمشايخ وكأنه يوم الحشر العظيم . مشى هذا السيل الجارف في سمفونية عجيبة مركبة من أناشيد وطنية وتكبيرات دينية متجها نحو ساحة أيا صوفيا ولما وصلنا إليها رأينا الناس قد ملؤوا الساحة حتى تسلقوا أشجار الكستناء الباسقة حتى لكأنهم جراد منتشر، ثم حاصر هذا السيل من البشر مبنى مجلس المبعوثان وسط

صيحات المطالبين بالشريعة وأصوات الأذان من فوق الحافلات التي تجرها الخيول . دون أن يدري أحد أية شريعة يطالبون بها وممن يطالبون بهذه الشريعة ، ثم سمعنا أصوات بعض الطلقات النارمة وانتشر الخبرأن أحد الذين يريدون جعل المسلمين كفاراً قد قُتل وتبين فها بعد أنهم قتلوا شكيب أرسلان بك نائب اللاذقية وأرادوا سحبه بالشوارع وتمزيقه ظناً منهم أنه حسين حامد بك أحد محرري جريدة الطنين وهو من يهود سلانيك ( دونمة ) . ولما علموا خطأهم تركوه . ولما رأى ناظم باشا ( وزير العدل ) فداحة الخطب ، تملكته الجرأة فظهر من إحدى النوافذ وخاطب المتجمهرين قـائلاً : أبنــائي الجنود إنكم لخدعون ، مخطئون في ظنكم ، الشريعة قائمة لم يمسها أحد بسوء ، وما كاد يتم كلامه حتى صرخ أحـد النـاس : اقتلوه إنـه عدو الشريعة الأول ، وفي هذه الأثناء أصدر أحد الضباط إيعازاً إلى ضابط صف اسمه حمدي جاويش عندئذ لعلع الرصاص فأصيب ناظم باشا وقتل ظناً من الناس أنه أحمد رضا بك ريئس مجلس المبعوثان ( ما سوني ) فكان ثـاني قتيل يقتل خطأ . ثم أمر حمدي جاويش الجنود بالتجمع فســـار العسكر مع

المشايخ نحو الباب العالي .

وأريد أن أسجل هنا بأن ما كتب حتى الآن عن اشتراك مفارز وزارة الحربية واشتراك المفارز الموجودة في ثكنة السليية (١) ولجوء بعض السفن الحربية لهذا السبب إلى ضرب هذه الثكنة بالمدفعية ، هو محض خيال ، إذ لم تدق أبواق النفير حتى رفعت رايات الاستسلام البيض على أبراج هذه الثكنة فلم تشترك في العصيان أبداً .

وعند مرور هذا الموكب العاصي من الباب العالي خرّب المندسون مطابع بعض الصحف ونهبوها ، ولم يشترك معهم أي جندي في هذه الأعمال .

وفي الوقت الذي جرت فيه هذه الحوادث بساحة آياصوفيا حدثت فتنة ثالثة في سلاح البحرية .

لم يتبع المحرضون نغم الشريعة هنا بل اتبعوا سبيلاً آخر ، ادعوا بأن قائد البارجة ( إعصار التوفيق ) البكباشي علي قيولي

<sup>(</sup>١) هذه الثكنة كائنة في الجانب الآسيوي من إستانبول ، ومازالت تستعمل كثكنة عسكرية ومقراً لقيادة الجيش الأول التركي .

حاول تدمير مقر يلدز لقتل الخليفة ، كانت هذه التهمة محض افتراء ، فقبضوا عليه ووضعوه في قفص داخل عربة نقل واقتادوه إلى قصر يلدز وهم ينشدون الأناشيد الوطنية ويطلقون النار في الهواء كما فعلت كتائب الرماة . وبين هتـاف بحياة السلطان وموت الخونة وصلوا إلى مقر يلدز فاصطفوا أمام دائرة الارتباط شاكي السلاح وهم في وضع التحية هاتفين للسلطان . ولما أرسل السلطان بعض مرافقيه ليتنبؤوا الأمر ، أجابوهم : إننا ندين بالولاء لمولانا جلالة السلطان جئنا بخائن للوطن هو الآن مكبل في العربة ، إنه قائد البارجة إعصار التوفيق كان يهم بتدمير قصر يلدز، قبضنا عليه وهو الآن تحت حراستنا ننتظر أوامر جلالة السلطان . وعندما عاد المرافقون إلى القصر ، جاء المتآمرون بشيخ(١) وطلبوا منه أن يدعو بالخير والسلامة فلما أجابهم بأنه لا يعرف مثل هذا الدعاء قاموا إليه فزقوا عمامته وجبته وطردوه . وجاؤوا بإمام الطابور الأول التابع للكتيبة السابعة في يلدز الشيخ مراد أفندى وطلبوا منه الدعاء بالخير والسلامة فلما رأى أنه لا

<sup>(</sup>١) هو الشيخ صادق أفندي .

منجى منهم دعا للدولة العثمانية ولجيش السلطان ، فكان هذا الدعاء سبباً لإعدامه شنقاً فيا بعد .

ظل المتآمرون يصرخون ويهتفون بحياة السلطان حتى ظهر السلطان من نافذة دائرة الارتباط وسألهم عن مطلبهم . تقدم قرب النافذة ثلاثة منهم وبعد أداء التحية قالوا : مولانا إننا نطالب بالشريعة ، إن الرجل الذي أتينا به أراد تدمير قصركم بمدافع بارجته وكذلك إحراق إستانبول ، قبضنا على هذا الخائن وجئنا به إليكم . والقرار هو قرار جلالتكم ، نطالب بإعدامه .

وعندما طلب السلطان عبد الحميد رؤية على قيولي جيء به فمشى إليه خائر القوى حتى وقف أمامه وبعد أداء التحية قال بصوت مرتعش: عبدكم البكباشي على قيولي قائد البارجة إعصار التوفيق، أمد الله في عمر جلالة سلطاننا. إن شكوى هؤلاء الجنود نابع من جهلهم وعن تحريض مقصود. وكان صوته يخفت من شدة خوفه حتى صار حشرجة غير مسموعة. عندئذ أمر السلطان أن ياخذوه إلى وزارة البحرية لاستنطاقه، ثم أغلقت النافذة. تحلق المتآمرون حول رجال

القصر الذين جاؤوا بهذا الأمر ولما علموا به صرخ واحد بينهم إلى أين تأخذونه ، سنعاقبه هنا وبدأ يضربه بيديه ويركله برجليه قائلاً: إنه خائن الشريعة ، خائن الدين وخائن الوطن ، ولما رأى رجال القصر منه ذلك حالوا بينها وتأبطوا ذراعيه محاولين إنقاذه من بين يديه فجن جنون العصاة وهجموا عليه ، وقام رجل ذو شاربين مفتولين وقامة طويلة اسمه الرقيب سليان الكرزي وطعن بحربة بارودته بطن علي قيولي مرخة تمزق الأكباد ، ووقع على الأرض مضرجاً بدمائه ، وحيال هذا الوضع لم يجد رجال القصر بداً من النجاة بجلودهم والالتجاء إلى القصر .

لم يبق العصاة في جسم هذا الرجل مكانـاً إلا طعنوه بحرابهم ثم ربطـوه من رجليـه وعلقـوه على شجرة في الشـارع العــام وانصرفوا .

سمعنا بمقتل على قيولي بهذا الشكل المفجع لـدى عودتنا إلى ثكنة طاش قشلة بعد أن كنا في ساحة آياصوفيا . إذن فالـذين قتلوا هم ثلاثة أشخاص : شكيب أرسلان ، وناظم بـاشـا ، وعلي قيولي . وقد وجد الصباط المعتقلون في المهجع فرصة فهربوا ، فلم يبق في الثكنة نظام أو طاعة ، وفي اليوم التالي عاد كل شيء كا كان وكأن شيئاً لم يكن . وفي يوم الجعة ٣ من نيسان جرى الاستعراض المعتاد لكن الذي لفت النظر فيه هو عدم حضور الضباط الكبار هذا الاستعراض .

وفي هذه الأثناء سرت شائعة في الثكنة تقول إن الجيش الثالث في سلانيك بعث بطوابير عسكرية تسمى بجيش الحركة وإن هذا الجيش سيقوم بمناورات عسكرية في إستانبول مع أن المياه عادت في إستانبول إلى مجاريها .

وفي يوم الجمعة ١٠ من نيسان سنة ١٣٢٥ أخذنا الجنود من ثكنة طاش قشلة لإجراء العرض المعتاد ، فكان هذا العرض الذي دام ثلاثاً وثلاثين سنة .

لم يجر العرض المعتاد ، بل أبلغنا رجال القصر بأن جلالة السلطان يريد أن يتكلم إلينا ببعض الأمور . ذهبت مع من ذهب من الضباط ووقفنا أمامه وأدينا التحية ، كان بجانبه قائد القوات الخاصة أحمد مختار باشا ووزير الجيش رضا باشا ،

خاطبنا عبد الحيد قائلاً ما معناه: بلغوا سلامي إلى أبنائي الجنود الموجودين هنا والباقين في الثكنات وقولوا لهم: إن عساكر من الجيش الثالث التي تسمى الحركة قد وصلت إلى الستيفانوس ( بشيل كوى )(۱) . إنهم مثلكم أتراك مسلمون . إن ما قرىء في ثكنة طاش قشلة لم يصدر عني مطلقاً لقد دبره بعض الأعداء ، وتبين من التحقيق أنه تدبير سياسي مقصود . لم أصدر مثل هذا الأمر تجاه أمتي أبداً . لقد حرص الأعداء بهذه الأعمال على تحقيق أهدافهم الخبيثة ، فأطلب منهم ألا يصدقوا المسلاح كا لجؤوا إليه في ٢١ من آذار وقد أمرت القادة بإجراء ما يلزم ، ( وأشأر إلى القادة الموجودين بجانبه ) .

لو أمر السلطان عبد الحميد القوات الخاصة المعسكرة في إستانبول بمهاجمة جيش الحركة والدفاع عن المدينة لكانت فاجعة ٣١ من آذار ضربة قاضية على الجيش العثماني بأكمله .

لكن عبد الحيد لم يفعل شيئاً من هذا القبيل واستسلم

<sup>(</sup>١) ضاحية من ضواحي إستانبول فيها حالياً المطار المدني على ضفاف بحر مرمرة .

للقدر . أبلغنا جنودنا أمر السلطان ، ولم تجر المراسيم المعتادة فجاء السلطان إلى المسجد ، وبعد قليل أبلغنا مرافقوه عدم الانتظار والعودة إلى الثكنات .

مرت أزمة ٣١ من آذار ومضى أسبوع واحد لم يسجل خلاله أي حادث جدير بالذكر .

الأمر اللافت للنظر هو غياب كل ضباط كتائب الرماة عن الثكنة ، كان المتآمرون قد أبعدوهم جميعاً وهذا من الأدلة الدامغة على أن هذه الحوادث من صنع المتآمرين بدقة وإحكام .

لم يبق من الضباط الكبار في الثكنة سوى ضابط واحد هو قائد الكتيبة السابعة الأمير لاي إساعيل حقي . وقد دق نفير الاجتاع فاجتم الضباط والجنود في ساحة الثكنة فخاطبنا هذا القائد قائلاً : أيها الجنود ، هناك شائعات تسري ، إنها محض أكاذيب يطلقها من لهم أهداف وغايات سياسية معينة . والحوادث التي جرت في ٣١ من آذار هي ثمرة الأهداف والغايات . سيعود إليكم من غاب من ضباطكم . إن الطاعة في والغايات . سيعود إليكم من غاب من ضباطكم . إن الطاعة في

الجندية هي الأساس أبلغكم بأمر صاحب جلالة المقام الرفيع . إن ما جرى في ٣١ من آذار لا يليق بالشرف العسكري وليس له مكان في ديننا . أدعوكم لأن تقسموا أمامي بألا تلجؤوا إلى أي حركة لأي سبب من الأسباب دون أن تتلقوا أمراً ، أتقسمون ؟ فهتف الجميع نقسم بالله العظيم على ذلك .

كان الطابور الأول من ثكنة طاش قشلة تشغله كتائب الرماة والاستحكام أما الطابور الثاني فلجنود القوات الخاصة ، أما حراسة الأبواب النظامية ومخزن الأسلحة فيتناوب فيها جنود القوات الخاصة وليس للرماة أية مناوبة على حراسة الثكنة .

وفي ليلة العاشر من نيسان أحس الرماة بوجود شيء ما يحوم حولهم فعمدوا إلى حراسة الخزن فجردوهم من أسلحتهم وكسروا أقفال الخزن ونقلوا العتاد كله إلى مهاجعهم ، وعلم القائد بالخبر فاستنفر القوات لكن الرماة الذين سدوا جميع المنافذ هددوهم بإطلاق النار إن هم اقتربوا منهم ، وفي هذه الأثناء جاء ضباط الصف المناوبون بخبر جديد مفاده : أن

عناصر أجنبية يلبسون قبعات بيضاء ويرتدون أزياء غريبة يحفرون مزابض لهم تجاه الثكنة من جهة مستودع المحروقات .

فلما علم القائد بالنبأ أمر بالتريث حتى يصبح الصباح فيظهر الوضع جلياً . ولم تمض ساعة على هذا الوضع حتى لعلعت أصوات المدافع الرشاشة قرب الباب الرئيسي .

أغار جيش الحركة على الثكنة ففتح الرماة نيران أسلحتهم لصد هذا الجيش ، فلما سمعوا أصوات الرصاص هرعوا إلى خارج الثكنة دون أن يعلموا عمل جرى فقابلهم جيش الحركة بالرشاشات المتركزة في مقبرة الأرمن فأبادهم عن بكرة أبيهم .

وخلال الاشتباكات التي بدأت قبل الفجر من يوم السبت المن نيسان واستمرت حتى الظهر دمرت قنابل المدفعية الباب الرئيسي وجزءاً من الطابق الشاني وبعد قليل تهدمت المهاجع على رؤوس جنود الاستحكام فماتوا جميعاً تحت الأنقاض .

استرت الاشتباكات حتى عصر ذلك اليوم فكانت مدافع بك أوغلي تتراشق النيران مع مدافع الحربية ، وفي هذه الأثناء حاول قائد الكتيبة السابعة إسماعيل حقى ثنى الرماة عن

موقفهم فلم يفلح فأمرنا أن نلف غطاء أبيض بعصاً ونرفع راية الاستسلام على نافذة من نوافذ الطابق العلوي لعلهم يوقفون القصف وتهدأ الحالة . فنفذنا ما أمر وفعلاً توقفت طلقات الأسلحة ، فكتب القائد كتاباً أرسله مع أحد الضباط إلى القوات المهاجمة ، وكانت الاشتباكات متوقفة تماماً .

ومن الباب النظامي المتهدم ظهر البكباشي أنور بـك ( بطل الحرية أو أنور باشا فها بعد ) وبيده مسدس ومعه عشرة من رفاقه ومن ورائهم جنود ذوو ألبسة غريبة تبين فيا بعد أنهم من عصابات البلغار ، كان مع أنور رجل طويل القامة ذو لحية صفراء اسمه ساندانيسكي (قائد الثورة المكدونية ) . وأول عمل قاموا به هو تجريد من بقى حياً من كتائب الرماة من سلاحهم وقتلهم جميعاً بحراب أسلحتهم . أما القائد إسماعيل حقي فتقـدم من البكبـاشي أنور قــائلاً : أي بني بارك الله بكم ، لم أستطع أن أثني الرماة عما فعلوا لقد أقسموا بالأمس لكنهم نقضوا أيمانهم فكسروا باب غزن الأسلحة وسببوا هذه الحادثة . أما أنور بك فلم يجبه بل مشى إليه وأشبعه ركلاً وضربأ ثم نتف لحيته البيضاء فانفجر القائد غاضبا وصرخ والدماء تكاد تتفجر من عينيه: أيها الوقح، لقه أثبت بعملك هذا سوء أدبك وخلقك، وبصق في وجهه ثم أردف إنك لم تقم للشرف العسكري وزنا أسفي عليك وأنت تحمل رتبة ضابط تركي لم أعرف أنك أحط من أي جندي عادي، إن فعلك هذا لا يفعله حتى العدو الذي لا يمس من استسلم بسوء. إنني أشك في عقيدتك والدماء التي تجري في عروقك لو لم تكن دنيئاً لما أهنت من هو من قومك أمام هؤلاء ( وأشار بيده إلى البلغار). ثم وقع مغشياً عليه.

لما رأى أنور بك هذا الجواب الذي استحقه من القائد التركي أمر عصابات البلغار أن يقيدوا هذا الضابط الشهم فقيدوه فأطلق هو وثلاثة من رفاقه النار عليه فقتلوه ثم دار بوجهه إلى ساندانيسكي وتمتم : أما كان مستحقاً لهذا الجزاء !

جُرِّد بقية الجنود من السلاح ووضعوا في مهجع نـادوا عليهم واحـداً بعـد واحـد فقتلوهم جميعاً ، فـامتـلأت سـاحـة الثكنـة بالأشلاء وكأنها مسلخ المدينـة ، ثم أمروا القلـة القليلـة ـ فكنت أنـا منهم ـ بـدفنهم . فحفرنـا لهم حفراً في مقبرة الأرمن فـدفنـا

زملاءنا بأيدينا تحت تهديد السلاح ، هذه المقبرة الجماعية هي الوثيقة الأصلية التي تثبت بشاعة وفظاعة جريمة ٣١ من آذار فليذهب المؤرخون ولينظروا بشيء من الإنصاف والحياد .

إن الفاجعة التي ألمت بنا ورأيناها بأم أعيننا في ثكنة طاش قشلة مخيفة مرعبة لم تشهد مثلها محاكم التفتيش ، لقد أذاق أبطال الحرية الجيش التركي صنوفاً من التقتيل والتعذيب لم تفعله الوحوش . لقد مشى بطل الحرية أنور بك أمام أعدائه الذين يريدون إزالة أمته من الوجود فقتل أبناء جلدته وطعنهم بأيدي الأعداء ، لابد أن التاريخ سيحكم عليه يوماً ، وإن لم يحاكمه أولياء الجنود الذين أرسلوا أصلاً للدفاع عن هذا الوطن ، فانتظروا رجوعهم إلى بيوتهم سنين طويلة دون جدوى ، إن ضحايا هذه الكارثة لم يدفنوا حتى في مدافن المسلمين بل غُيبوا في التراب في مقبرة آغوب الأرمني .

انتهت المذبحة على النحو المذكور ، قام بعد ذلك رئيس عصابات البلغار ساندانيسكي ورجاله برفقته أنور بك بالإغارة على قصر يلدز ، فقدم أنور بك قصر الإمبراطورية العثمانية

بتاريخها العريق نهباً لعصابات العدو، ولقد كان تخطيطهم يقضي بإحداث فتنة ٣١ من آذار وإسقاط عبد الحيد والحصول على الخزينة وعندما لم يجدوا الخزينة قبضوا على المصاحب الأول جوهر آغا واستعملوا معه أبشع أنواع التعذيب فصرخ في وجههم بأنه لن يخون ولي نعمته فوضعوا حبل المشنقة في عنقه وأعدموه . وبادروا إلى المصاحب الثاني نادر آغا وعذبوه مثل سلفه وهددوه بالإعدام فلم يستطع الصود فدلهم على مكان الخزينة وأنقذ روحه .

لقد جاورت نادر آغا فيا بعد فأفشى إلى بهنذا السر في معرض حديثه عن الأحداث التي تعرضنا لها وذقنا منها الويلات .

لم تكن للسلطان عبد الحيد أية علاقة بأحداث ٣١ من آذار وبالرغ من حسن النية التي أظهرها والحياد الذي وقف فيه ، فإن الأحداث تطورت ضده وقد أظهر أنور بك (صهر العائلة المالكة ونائب القائد العام فيا بعد ) مهارته في نهب خزينة القصر أمام عيني السلطان الذي جمع المال عبر السنين الطويلة

لينفقه على أمته في الأيام العصيبة ، وذلك على أيدي عصابات الروم والبلغار ، مع ذلك لم يكن ذلك المال بالمقدار الذي حلمت به جمعية الاتحاد والترقي . كا قام أنور بك في قصر يلدز بخبخة شبيهة بمذبحة طاش قشلة إذ أباد مفرزة تابعة لشوكت باشا عن بكرة أبيها . كا تعرض بالإهانة للفريق ممدوح باشا القائد التركي المرموق الذي خدم الجيش العثماني مدة سبعة وأربعين عاماً ثم نزع سيفه وأرسله إلى قائد جيش الحركة محمود شوكت باشا ، فلما رأى الباشا هذا التصرف غير اللائق اعتذر منه وأعاد لممدوح باشا سيفه .

أعلنت الأحكام العرفية في إستانبول ومنع التجول بعد أذان المغرب وتوقفت المواصلات بين شطري المدينة .

وفي اليوم التالي أُخذت مخفوراً مع ثلاثة من زملائي إلى سجن باكير آغا فوجدنا هناك كثيراً من الناس يقدمون إلى الحاكمة فمن ثبت تواجده في ساحة آياصوفيا يوم العصيان أعدم شنقاً أو رمياً بالرصاص . وقد كنا مطمئنين إلى أننا ضباط غير مسلمين ، من الفرقة الموسيقية لكن الحكم الذي صدر بشأننا لم

يراع كوننا غير مذنبين فنزعت منا الرتب العسكرية وأخذنا إلى منطقة نائية للعمل في مخيم للأشغال الشاقة مدة ستة أشهر.

والآن تقول: لحساب من أحدثت مأساة ٢١ من آذار؟ من هم وراء هذه الفتنة ؟ لقد تبين من التحريات الجارية بعد إخاد الفتنة أنه ضبط في بيت سعيد باشا القبرصي ـ المعروف بتبعيته للإنكليز ـ النسخ الأصلية لكل المقالات الرئيسية التي نشرتها جريدة البركان السرية ، وقد سلمت الوثائق إلى رئاسة المحكة العرفية لكن أحداً لم ينبس ببنت شفة في هذا الموضوع . لقد ثبت بما لا يقبل الشك أن وكالة الاستخبارات الإنكليزية هي التي كانت وراء هذه المؤامرة .

\* \* \*

## خلع السلطان عبد الحميد

بعد المؤامرة التي نفذت في ثكنة طاش قشلة ونهب قصر يلدز من قبل عصابات البلغار بمعرفة أنور باشا أمام عيني السلطان اجتمع أركان جيش الحركة بأعضاء المجلس الملكي الذي شكله مجلس المبعوثان وقرروا خلع السلطان عبد الحميد بعد استصدار فتوى من شيخ الإسلام .

وفي يوم الثـلاثـاء السـابـع والعشرين من شهر نيســان عـام ١٩٠٩ اجتم ٢٤٠ عضــواً من مجلس الأعيــان في جلســة مشتركـة وقرر بالاتفاق خلع السلطان عبد الحيد .

كتب مسودة الفتوى الشيخ النائب حمدي أفندي المالي لكن أمين الفتوى نوري أفندي الذي دعي للاجتاع رفض هذه المسودة وهدد بالاستقالة من منصبه إن لم يجر تعديل عليها ، وأيده في التعديل عدد من أنصاره من النواب فعدل القسم الأخير على أن يقرر مجلس المعوثان عرض التنازل عن العرش أه خلعه .

وإليكم نص الفتوى ذات الوجهين الموقعة من قبل شيخ الإسلام محمد ضياء الدين أفندي ووافق عليها مجلس المبعوثان بالإجماع :

« إذا قام إمام المسلمين زيد فجعل ديدنه طي وإخراج المسائل الشرعية المهمة من الكتب الشرعية ، وجمع الكتب المذكورة وإحراقها والتبذير والإسراف من بيت المال وإنفاقه خلاف المسوغات الشرعية ، وبقتل وحبس وتغريب الرعية بلا سبب شرعي وسائر المظالم الأخرى ثم أقسم على الرجوع عن غيه ، ثم عاد فحنث وأصر على إحداث فتنة ليخل بها وضع المسلمين كافة فورد من المسلمين من كافة الأقطار الإسلامية بالتكرار ما يشعر باعتبار زيد هذا مخلوعاً ، فلوحظ أن في بقائه ضرراً محققاً وفي زواله صلاحاً فهل يجب على أهل الحل والعقد وأولياء الأمور أن يعرضوا على زيد المذكور التنازل عن الخلافة والسلطنة أو خلعه من قبلهم . الجواب : نعم . يجب .

التوقيع

كتبه الفقير السيد محمد ضياء الدين عفا الله عنه قرئت هذه الفتوى العجيبة في الاجتاع المشترك للمجلس الملّي فصرخ النواب الاتحاديون نريد خلعه ، نريد خلعه ، في هذه الأثناء قام سعيد باشا الصغير ـ الذي رباه عبد الحميد وهو صغير فخانه بعد ما كبر ـ وهو على كرسي رئاسة المجلس وقال : أيها السادة ، هل توافقون على هذه الفتوى الشرعية التي تقضي بخلع السلطان عبد الحميد الثاني من الخلافة والسلطنة ؟ ولما كثرت الهمهات بينهم طلب من الموافقين الوقوف ، فوافق المجلس على الخلع .

بعد استقالة حسين حلمة باشا من رئاسة الوزراء في ٢١ من آذار كان توفيق باشا قد عين خلفاً له ، وفي جلسة المجلس الملي دعي إلى حضور الاجتاع وطلب منه تبليغ قرار الخلع إلى الخليفة لكنه كان مدركاً للأمور إدراك المجرب الحكيم فاستطاع التخلص من هذه المهمة الكريهة قائلاً: إن قرار النواب يجب أن يبلغه النواب أنفسهم فانتخب الاتحاديون وفداً لن ينساه المسلمون ولن ينساه التاريخ أبداً ، إنه وفد يندى لذكره الحين .

لقد ضم الوفد أرام أفندي الأرمني ، والفريق البحري عارف حكمت باشا ، وعمانوئيل قره صو اليهودي نائب سلانيك والعدو الأول للإسلام ومدبر المكائد للقضاء على الخلافة الإسلامية ، وأسعد طوبطاني الأرناؤوطي الذي خان النعمة وخان الوطن .

كان المفروض أن يقوم بتبليغ قرار خلع سلطان عثاني مسلم خدم الدولة والأمة أكثر من ثلاثة وثلاثين عاماً ، وفد مسلم ، لقد لطخ الاتحاديون بفعلهم هذا ليس تاريخ عبد الحيد فحسب بل التاريخ العثاني بأكمله بالعار .

قدم هذا الوفد إلى السلطان عبد الحيد فوجدوه واقفاً على قدميه هادئاً متين الأعصاب. فلما قرأ عارف حكمت باشا الفتوى التي أصدرها شيخ الإسلام ضياء الدين أفندي ، أجاب السلطان عبد الحيد جواب المؤمن الواثق بربه ﴿ ذلك تقدير العليم ﴾ . عندئذ تقدم أسعد طوبطاني الأرناؤوطي قائلاً : لقد عزلتكم الأمة ، فغضب عبد الحيد وقال : تقصد أن

الأمة خلعتني ، لا بأس ، ولكن لماذا جئم بهذا اليهودي(١) إلى مقام الخلافة .

وبعد أن أزيح السلطان عن سدة الخلافة والسلطنة أرسل في يوم ٢٨ من نيسان ١٩٠٩ مع ثلاثة من نسائه ، وأولاده عبد الرحم ومحمد وعابد وبناته شادية وعائشة ورافعة ، وبعض الخدم والمرافقين إلى سلانيك ووضع في قصر الاثبتي الصيفي تحت حراسة فدائبي الاتحاد والترقي ولما اندلعت حرب البلقان جرى نقله مع حاشيته إلى قصر بكلربكي في إستانبول بعد توسط صديقه القديم الإمبراطور الألماني ويلهلم الثاني وتوفي في هذا القصر فجرى لجنازته احتفال مهيب ودفن في مقبرة السلطان محمود بإستانبول رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

\* \* \*

<sup>(</sup>١) قصد بذلك اليهودي عمانوئيل قرهصوا .

## القهرس

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
70	السلطان عبد الحيد
43	عبد الحيد والعرب
27	عبد الحميد والأكراد
٤٥	عبد الحيد والأرمن
٤٧	عبد الحيد واليهود
٤٩	من الاستبداد إلى الحرية
- 77	بجلس المبعوثان
Yo	کیف بدأت مأساة ۲۱ آذار
94	خلع السلطان عبد الحميد
21.7	الفهرس